سِفْرُ
طوبيا

سفر طوبيا

المقدمة

❋❋❋❋❋❋❋❋❋

أولاً: كاتبه:

يظن أنه طوبيا الإبن.

ثانيا: قصته:

هى قصة عائلة رجل تقى يسمى طوبيا، عاش فى السبى الأشورى، فى نينوى عاصمة أشور، وتمسك بشريعة الله وأعمال الرحمة ولاقى آلامًا كثيرة، وكذلك فتاة تقية تسمى سارة، يموت أزواجها السبعة. وكيف تظهر رأفة الله فى رئيس ملائكته رافائيل، الذى صحب ابنه، المسمى طوبيا، وخلصه من الموت، من سمكة كبيرة فى البحر وزوجه بسارة وأعاد له أمواله وشفى الأب طوبيا.

ثالثا: زمان كتابته:

تمـــت أحداثـــه فى القرنين الثامن والسابع قبل الميلاد. وتمت كتابته فى أواخر القرن السابع قبل الميلاد.

رابعًا: مكان كتابته:

كتب فى السبى بعيدًا عن أورشليم.

خامسًا: أغراضه:

١- إمكانية الحياة المقدسة وسط الأشرار والضيقات.

٢- أهمية الصداقة وأعمال الرحمة والتمسك بشرائع الله ووصاياه.

٣- محبة الملائكة وخدمتهم للبشر وضعف الشياطين أمام قوة الله.

٤- قدسية الزواج وسموه عن كونه مجرد شهوة جسدية، ووصايا ضرورية فى الزواج والحياة الأسرية.

٥- سماح الله بالآلام، مع تعاظم رحمته على أولاده الصابرين الأتقياء وبركاته المتزايدة لهم.

سادسًا: رموزه الروحية:

يحمل السفر رموزاً روحية كثيرة، نظهر بعضها الآن؛ لبيان تسلسل وترابط المعنى فى السفر. يظهر أيضاً داخل التفسير بوضوح وإن كنت أيها القارئ العزيز لا تعرف القصة بالتفصيل، فيفيدك أن تقرأ هذا الجزء مرة أخرى بعد قراءة السفر وتفسيره.

١- الأب طوبيا يرمز للآب وابنه المسمى باسمه، أى طوبيا يرمز للإبن وذلك يرمز لمساواة الإبن للآب.

٢- وقد أرسل طوبيا الأب ابنه إلى راجيس؛ ليسترد من غابيلوس الوديعة. وهذا يرمز لإرسال الآب ابنه يسوع المسيح إلى العالم؛ ليسترد البشرية الساقطة، المحكوم عليها بالموت، فيحييها ويعيدها إلى الفردوس. وغابيلوس يرمز للانفصال عن الله والغربة.

٣- وإن كان طوبيا الابن يرمز للمسيح، فقد تزوج بسارة، التى ترمز للكنيسة وقد خلصها من الشيطان أزمودايوس وذلك بموته على الصليب، عندما قيد الشيطان. وحرق الكبد يرمز لموت المسيح، الذى به قيد الشيطان.

٤- وحفر القبر لطوبيا الابن، عندما تزوج بعروسه سارة، يرمز لموت المسيح على الصليب، وبقاء طوبيا ثلاثة أيام فى صلاة، وحب لسارة، بعدها تمم علاقته الخاصة بها، يرمز لقيامة المسيح ورفعه لكنيسته وقيامتها فيه، ثم رجوع طوبيا إلى بيت أبيه يرمز لصعود المسيح.

٥- وطوبيا الابن سبق سارة زوجته ووصل إلى بيت أبيه، الذى يرمز لصعود المسيح، وسارة وصلت بعده بسبعة أيام وهذا يرمز لبقاء الكنيسة على الأرض فترة الحياة على

الأرض وبعـــد ذلك تصل إلى بيت طوبيا الأب، الذى يرمز للسماء. وأقيم حفل العرس الذى يرمز لأمجاد الحياة الأبدية.

٦- صـــلاة رعوئـــيل ومباركته لطوبيا وسارة، ثم كتابة عقد للزواج، يرمز إلى سر الزيجة ومباركة الكهنة وإتمامهم للسر، ثم كتابة عقد للزواج.

٧- وليمة العرس فى بيت رعوئيل ترمز للتناول من جسد الرب ودمه.

٨- رئـــيس الملائكـــة رافائـــيل، المسمى عزريا ومساعدته لطوبيا الابن، تشير إلى خدمة السمائيين للأرضيين، حتى يكملوا جهادهم على الأرض وينضموا إلى السمائيين.

٩- الـــسمكة التى أخذ منها طوبيا طعاماً وشفاءً لعينى والده وتخلص بكبدها من الشيطان، ترمـــز للمـــسيح. والمـــسيحى والسمكة منذ القرون الأولى يتفق الآباء على أنها رمز للمسيحى.

وهناك رموز كثيرة يصعب حصرها وحتى لا نشغل القارئ بها عن المعانى الروحية البسيطة الواضحة فى السفر نكتفى بهذا المقدار.

سابعًا : أقسامه:

١- آلام الأتقياء (ص١-٣)

- اضطهاد الملك لطوبيا الأب، لدفنه الموتى.
- إصابته بالعمى وتعيير الناس له.
- قتل أزواج سارة التقية.

٢- الله وسط الآلام (ص٤-٩)

- طوبيا الأب يوصى طوبيا ابنه.
- الملاك رافائيل يرافقه ويحفظه.
- يخلصه من السمكة ويحولها لخيره.
- يزوجه بسارة ويحميه من الموت.

- يسترجع له أموال أبيه من غابيلوس.

٣- بركات محتملى الآلام (ص١٠-١٤)

- سلام طوبيا الأب وهو ينتظر ابنه ثم فرحه بلقياه.
- عودة بصره.
- إعلان رافائيل لشخصيته أمامهما.
- تسبيح طوبيا الأب.
- غنى وصلاح طوبيا الابن ونسله.

ثامنًا : علاقته بالطقس :

لهذا السفر أهمية كبيرة فى طقس الكنيسة وتحمل أحداثه رموزاً للطقس :-

١- يقــرأ السفر بأكمله فى الأسبوع قبل الأخير (السادس) من الصوم الكبير وذلك يوم الجمعة؛ ليبين رعاية الله واستجابته لصلوات أولاده المجربين وإنقاذهم من الشرور الكثيرة.

٢- الولــيمة التــى أقامهــا طوبيا الأب فى بيته فى عيد الرب (ص٢: ١) ترمز لسر الإفخارستيا. وانتظار طوبيا الأب أن دعوة ابنه للمدعوين أن يأكلوا معه ترمز لتناول الكاهن مع كل الشعب من جسد الرب ودمه، فى وقت واحد، هو نهاية القداس.

٣- رعوئيل أخذ بيد ابنته وسلمها إلى طوبيا الإبن عند زواجها وهذا يحدث الآن، عندما يسلم والد العروس ابنته للعريس، عند مدخل الكنيسة، ليدخلا معاً ويتمما سر الزواج.

٤- عند زواج طوبيا وسارة كتب رعوئيل عقد الزواج فى صحيفة وهذا ما يحدث الآن، عند إتمام سر الزواج يكتب عقد الزواج.

٥- طوبــيا وســارة قضيا الثلاثة أيام الأولى فى صلاة ومحبة وتفاهم، ثم أتما علاقتهما الجسدية، والكنيسة الآن تنصح بتعفف ثلاثة أيام، يقضيها الزوجان فى صلاة وتعفف وتفاهم، ثم تبدأ علاقتهما الجسدية.

٦- إســتخدام مرارة السمكة التى دهن بها طوبيا الابن عينى أبيه، ثم تم الشفاء وأبصر، يرمز للمسح بزيت سر مسحة المرضى؛ للشفاء من الأمراض.

٧- حرق كبد السمكة الذى عمله طوبيا الابن، فى بداية دخوله إلى مخدع الزواج، يرمز للصلوات ورفع البخور عند تبريك المنازل الجديدة، لمباركة المكان وطرد الشياطين.

هذه بعض الإشارات لطقس الكنيسة ويوجد غيرها الكثير يمكن للقارئ أن يلاحظه عند قراءة السفر.

ثامنًا : لغة السفر :

وجــدت نسخ للسفر باللغة الآرامية (هى اللغة العامية لليهود) واللغة العبرية (وهى اللغة الفــصحى لليهود)، وقد وجد فى مخطوطات قمران، التى اكتشفت عام ١٩٤٧ جزءاً من السفر باللغة العبرية وأربعة أجزاء باللغة الآرامية.

وقد ترجمت النسخة العبرية إلى اللغة اليونانية فى عهد بطليموس الثانى، فى القرن الثالث قبل الميلاد وهى ما تسمى بالترجمة السبعينية؛ حتى يستخدمها اليهود الساكنين فى مصر والــذين يعــرفون اللغة اليونانية فقط. وهى نسخة مطولة وقد ترجمت إلى اللغة العربية بواســطة الآباء اليسوعيين. أما النسخة الآرامية للسفر فقد ترجمت إلى اللاتينية بواسطة القــديس جيــروم (ايــرونيموس)، فى القرن الرابع الميلادى وهى النسخة المنتشرة فى الكنائس الأرثوذكسية ونعتمد عليها فى كتابنا هذا.

ومعنــى هذا وجود نصين لسفر طوبيا باللغة اليونانية أحدهما مطول والآخر قصير وهو الأكثر انتشاراً وقد حدث به بعض التنقيح اللغوى وهو لا يختلف عن المطول ولكنه أسهل وأكثر وضوحاً ويخلو من التفاصيل الثانوية.

ملحوظة : يرمز لسفر طوبيا بهذين الحرفين (طو)

يلاحــظ أنه داخل السفر عند الإشارة إلى أى أصحاح فيه يكتب ص وليس طو، أما عند كتابة شاهد من سفر آخر، فيكتب رمزه.

الأَصْحَاحُ الأَوَّلُ

سبي طوبيا وحظوته عند الملك

⁂

(١) سبى طوبيا (ع١-٣):

١كان طوبيا وهو من سبط ومدينة نفتالى التى فى الجليل الأعلى فوق نحشون وراء الطريق الآخذ غربا وإلى يسارها مدينة صفت. ٢قد جلى فى عهد شلمناسر ملك أشور إلا أنه مع كونه فى الجلاء لم يفارق سبيل الحق ٣حتى كان كل ما يتيسر له يقسمه كل يوم على من جلى معه من إخوانه الذين من جنسه.

ع١: **جُلى** : سُبى.

كل ما يتيسر له : كل ما يتحصل عليه من أموال، أو طعام وشراب.

طوبيا : كلمة عبرية معناها الله طيب، أو المطوب.

نفتالى : كلمة عبرية معناها مصارعات.

نحشون : كلمة عبرية معناها حية.

نفتالى هو ابن يعقوب، وأحد أسباط بنى إسرائيل، وقد استوطن سبطه فى شمال فلسطين، من أيام يشوع – عند تقسيم الأرض – فى منطقة تسمى الجليل، أى جليل الأمم، حيث كانوا قريبين مـــن الأمم واختلطوا بهم. أما نحشون، فهو إبن عميناداب، أحد زعماء سبط يهوذا (أنظر خريطة ١ صـــ٢٦٥).

فبالتفسير الروحى والرمزى قام طوبيا بمصارعات وسط الأمم، وانتصر على الشيطان الحية القديمة وثبت فى الإيمان والحياة المقدسة، رغم كل الضيقات. أى أن الإنسان المطوب من الله هو الذى يجاهد فى حياته ضد الشيطان ويصارع ويغلب بقوة الله، واثقًا أن الله يساعده ويضع إبليس تحت قدميه، كما كانت مدينة نحشون تحت مدينة نفتالى، التى يسكن فيها طوبيا.

ع٢: وقد تم سبى المملكة الشمالية وهى مملكة إسرائيل، التى عاصمتها السامرة، على عدة مراحل. وكانت المرحلة الثانية على يد شلمناسر، هذا المذكور، الذى حكم فى المدة من (٧٢٨-٧٢٢ ق.م.) وقد سبى كثيرًا من اليهود وحاصر السامرة ولكنه لم يستولِ عليها، بل استولى عليها الملك سرجون خلفه، وتقع مملكة أشور شمال نهر دجلة، أى فى العراق الآن، وقد امتد سلطانها، فاستولت على كل منطقة الشام وجزء كبير من اليهودية، حتى حدود مصر (أنظر خريطة ٢ صـ٢٦٥).

ويشهد هنا الكتاب المقدس لطوبيا، أنه رجل متمسك بشريعة الله وحقوقه، ليس فقط بين أهله فى اليهودية، ولكن بعد سبيه ونقله إلى بلاد أشور.

ع٣: فقد كان يقتسم كل ما يحصل عليه مع اخوته المسبيين، الذين من جنسه.

✝ *إن قداسة الإنسان لا تظهر فقط وسط الظروف السهلة ولكن فى الغربة وفى الظروف المعاكسة أيضًا. هل تتمسك بالله رغم انشغال المحيطين بك عن الحياة الدينية ؟*

(٢) تقوى طوبيا فى شبابه (ع٤-١٢):

٤ ومع أنه كان أحدث الجميع فى سبط نفتالى لم يكن على شئ من شؤون الأحداث. ٥ وكان إذا قصدوا كلهم عجول الذهب التى عملها ياربعام ملك إسرائيل يتخلف وحده عن سائرهم. ٦ فيمضى إلى أورشليم إلى هيكل الرب وهناك كان يسجد للرب إله إسرائيل ويوفى جميع بواكيره وأعشاره. ٧ وإذا كانت السنة الثالثة كان يجعل جميع أعشاره للدخلاء والغرباء. ٨ وعلى هذا وأمثاله كان مثابرًا منذ صبوته على وفق شريعة الله. ٩ ولما أن صار رجلاً اتخذ له إمرأة من سبطه إسمها حنة

فولد له منها ولد فسماه باسمه. ١٠ وأدبه منذ صغره على تقوى الله واجتناب كل خطيئة. ١١ ولما جلى مع أمرأته وولده إلى مدينة نينوى حيث كانت كل عشيرته. ١٢ وقد كانوا كلهم يأكلون من أطعمة الأمم كان هو يصون نفسه ولم يتنجس قط بمأكولاتهم.

ع٤: يحدثنا الكتاب المقدس هنا عن حياة طوبيا الأولى فى شبابه، عندما كان فى فلسطين فى مدينة نفتالى. كان شابًا صغير السن، وله القدرة أن يعمل أكثر من غيره، لا ليصير غنيًا ويتمتع بلذات الدنيا؛ بل ليساعد الفقراء والمحتاجين، فكان لا يتصرف بطياشة الشباب، بل بنضج الرجال.

ونفهم من النص الطويل لهذا السفر أن طوبيا كان يتيمًا وقد ربته جدته التقية دبورة، فاهتمت بتعليمه الإيمان والممارسات الطقسية، فتمسك بها عندما كبر.

ع٥: أما من جهة العقيدة، فقد كان طوبيا متمسكًا بإيمانه، فلا يسجد إلا فى هيكل الله، فى أورشليم، مع أنه كان يبعد عنه مسافة طويلة، ولم يكن يذهب للسجود عند التماثيل، التى عملها يربعام بن نباط، الذى شق المملكة فى عهد رحبعام بن سليمان الملك وعمل عجلين ووضعهما فى مدينتى بيت إيل ودان؛ ليسجد لها اليهود فى المملكة الشمالية، التى تشمل عشرة أسباط وبهذا يضمن عدم ذهابهم إلى أورشليم وبالتالى لا يخضعوا لملك يهوذا الساكن فى أورشليم، وبفعل يربعام هذا، جعل اليهود يسجدون للأوثان ولكن بقى قليلون متمسكون بالإيمان، لا يسجدون إلا لله فى هيكل أورشليم، منهم طوبيا هذا، العظيم فى إيمانه.

ع٦: **بواكيره:** أى بكوره وهو أول ما يحصل عليه الإنسان من إنتاج الحقول، أو الكروم، أو..
أعشاره : أى عشوره، كما أوصت الشريعة أن تعطى لله.

وكان طوبيا مواظبًا على تقديم البكور والعشور، محافظًا على ناموس الرب وحقوقه، مهتمًا بإضافة الغرباء.

ع٧: فكان طوبيا يوجه عشوره فى السنة الثالثة؛ للاهتمام بالغرباء.

ع٨: **صبوته** : صباه وشبابه.

على وفق : حسب.

وكان مواظبًا بتدقيق على كل أعمال الخير وعبادة الرب السابقة.

✝ *ما أجمل أن تكون لك شخصية متميزة فى العطاء وليس الأخذ، فتفكر كيف تتعب لتريح الآخرين. لا تفكر فى متعتك ومزاجك الشخصى، خاصة فى سن الشباب، حيث يكون للإنسان قدرة وحيوية لإنجاز خدمات كثيرة. وتكون متمسكًا بالله، حتى لو عارضك الآخرون واختلفوا عنك.*

ع٩: **حنة** : اسم عبرى معناها حنان، أو نعمة.

عندما كبر طوبيا وصار رجلاً، اختار زوجة يهودية واسمها حنة من سبطه، لأنه كان متمسكًا بشريعة الله، وأنجب منها ولدًا، أسماه طوبيا كإسمه.

✝ *فالمطوب من الله بالحقيقة ينسكب عليه حنان الله ونعمته وتصير ثمرته أيضًا مطوبة.*

ع١٠: وتظهر هنا أيضًا صفة جديدة فى طوبيا، كأب ومربى، يهتم بتربية ابنه تربية دينية، فى تقوى الله والابتعاد عن الشرور.

ع١١: وفى عام ٧٢٥ ق.م تقريبًا، سُبى طوبيا مع عشيرته من مدينة نفتالى. ونقله الملك شلمناسر ملك أشور إلى مدينة نينوى، عاصمة أشور، وتقع على نهر دجلة، وبعد أن تهدمت يقوم مكانها الآن، مدينة الموصل بالعراق (أنظر خريطة ٢ ص٢٦٥). وهكذا كانت سياسة ملوك أشور، إلغاء قومية من يحتلونهم، فينقلونهم من بلادهم إلى بلاد أخرى فى الإمبراطورية، وينقلوا آخرين إلى مكانهم. وهكذا وجد طوبيا نفسه فجأة يعيش وسط الأمم، هو وعشيرته.

ع١٢: وفى هذا البلد الغريب، تأثر اليهود بالأمم المحيطين بهم، وبدأوا يأكلون أطعمتهم، ويتـشبهون بعاداتهم، أما طوبيا فظل متمسكًا بإيمانه، يأكل فقط الأطعمة المحللة، التى نص عليها ناموس موسى، ويرفض أى طعام حرمه الله وإن كان يأكله الأمم المحيطون به.

(٣) حظوته عند الملك (ع١٣-١٧):

١٣ ولأجل أنه كان يذكر الرب بكل قلبه أتاه الله حظوة لدى الملك شلمناسر. ١٤ فأطلق له أن يذهب حيثما شاء ويفعل ما يريد. ١٥ فكان يطوف على كل من كان فى الجلاء ويرشدهم بنصائح الخلاص. ١٦ ثم أنه قدم راجيس مدينة مادای وكان معه مما آثره به الملك عشرة قناطير من الفضة. ١٧ فرأى بين الجمهور الغفير الذى من جنسه رجلاً من سبطه يقال له غابيلوس فى فاقة فدفع إليه الزنة المذكورة من الفضة بصك.

ع١٣: **حظوة** : نعمة.

وهـنا نرى بركات الله لأتقيائه، فمن أجل تمسك طوبيا بشريعة الله، أعطاه الله نعمة فى عينى الملك شلمناسر، الذى يعيش معه فى العاصمة نينوى.

ع١٤: إذ وصـل طوبيا أن يعمل عند الملك، كما يظهر فى النص العبرى لهذا السفر، كمتسوق – أى كمتعهد توريد لاحتياجات القصر الملكى – فاقتنى ثروة من عمله، وصار من المقربين للملك، فمنحه امتيازات خاصة، فى التصريح بالسفر بين كل بلاد الأمبراطورية كما يشاء ومنحه حرية أن يعمل ما يريد، لأنه من خاصة الملك ووهبه فضة وعطايا مادية كثيرة.

ع١٥: وإسـتخدم طوبـيا هـذه الامتيازات فى السفر إلى البلاد المختلفة؛ ليفتقد اليهود ويرشـدهم إلـى وصايا الله وشرائعه، ويثبتهم فى الإيمان، وينصحهم بعدم الاختلاط بعادات الأمم وخطاياهم.

✝ *هـل تـستخدم بركات الله التى يعطيها لك، لمتعتك الشخصية، أم لخدمة المحيطين بك ؟ وهل تفكر فى نفسك ورغباتك، أم تشعر بمسئوليتك عن الآخرين وتسعى لراحتهم وربطهم بالكنيسة ؟*

ع١٦: **راجيس** : وهى تقع على بعد ثمانية كيلو مترات إلى الجنوب الشرقى من طهران، فى دولة إيران الحالية، بجوار بحر قزوين، وكانت تبعد مسيرة إحدى عشر يومًا عن أكبتانًا أو أحمـــتا، ويقـــال أنها مسقط رأس زرادشت وقد صارت بعد ذلك المركز الدينى للمجوس (أنظر خريطة ٢ صـــ٢٦٥)

مادای : وتسمى ميديا وهى دولة قديمة قوية ومكانها الآن إيران وكان يحدها من الشمال الـــشرقى بحـــر قزوين ومن الشرق صحراء فارس ومن الجنوب فارس ومن الغرب أشور وأرمينـــية ويـــبلغ طولها من الشمال للجنوب حوالى ألف كيلو متر ومن الشرق إلى الغرب حوالـــى أربعمائة كيلو متر وقد اتحدت مع مملكة فارس فيما بعد وانتصرت على مملكة بابل وسيطرت على العالم كله. والماديون سكان مادى هم نسل مادى بن يافث (تك١٠: ٢).

آثره به : أنعم به عليه وخصه به.

وفـــى أثناء افتقاد طوبيا لإخوته، وصل إلى مدينة راجيس التى فى مملكة مادای. وبدأ طوبيا يفتقد إخوته اليهود ويسأل عنهم؛ ليهتم بالفقراء والمحتاجين منهم، وكان معه من الهدايا التى أعطاها لـــه الملك عشرة قناطير من الفضة. وقنطار الفضة يساوى ثلاثة آلاف شاقل، أى حوالى ألف وخمسمائة دولار أمريكى بسعر اليوم *.

ع١٧: **فاقة** : فقر.

الزنة : الوزنة.

فـــوجد طوبيا أحد اليهود فى محنة مالية، فأعطاه ما معه من الفضة كسلفة، وكتب هذا الـــيهودى – ويدعـــى غابيلوس – على نفسه صكاً، أى ورقة معتمدة، تعلن أنه اقترض هذا المبلغ من طوبيا، وملتزم بإعادته إليه، وهو بمثابة إيصال بالمبلغ المقترض.

وهنا يرمز طوبيا إلى المسيح، الذى يجول فى كل مكان يصنع خيرًا وينادى للمأسورين بالعتق، كما تنبأ أشعياء. فهذا غابيلوس الذى فى محنة، وعليه ديون، يدفع له طوبيا الفضة،

* Talent – Weights – Ancient Money by Michelle L. Pendergrass. KJV, Superfine Edition, New Devotional and Explanatory Pictorial Family Bible, Entered according to the Acts of congress, 1879 by J.R. Jones in the office of the Librarian of Congress, Washington.

والفضة ترمز إلى بر الإنسان، فالمسيح ابن الإنسان قد وهبنا بره وتبررنا به. فغابيلوس المتغرب فى هذا العالم قد ناله البر من طوبيا، الذى يرمز للمسيح، فحلت مشكلة عوزه وفقره إلى البر، بالبر الذى نال. وكتابة الصك هنا تعنى أن الإنسان (غابيلوس) اصبح مديونًا بقيمة الدين للعدل الإلهى، الذى دفعه المسيح عنا.

(٤) اضطهاد سنحاريب لليهود (ع١٨-٢١):

١٨ وكان بعد أيام كثيرة أن مات الملك شلمناسر فملك سنحاريب إبنه مكانه فوقع بنو إسرائيل عنده موقع الكراهة. ١٩ وكان طوبيا يطوف كل يوم على جميع عشيرته ويعزيهم ويواسى كل واحد من أمواله على قدر وسعه. ٢٠ فيطعم الجياع ويكسو العراة ويدفن الموتى والقتلى بغيرة شديدة. ٢١ ولما قفل الملك سنحاريب من أرض يهوذا هاربًا من الضربة التى حاقه الله بها بسبب تجديفه وطفق لحنقه يقتل كثيرين من بنى إسرائيل كان طوبيا يدفن أجسادهم.

ع١٨: شلمناسر ملك أشور كان قد سبى عددًا ليس بقليل من اليهود، وحاصر السامرة ثلاث سنين، ولكنه مات عام ٧٢٢ ق.م وخلفه سرجون الملك، الذى استولى على السامرة، وسبى عددًا آخر من اليهود، وقد ظلت لطوبيا مكانته وامتيازاته طوال حكم هذين الملكين. ولم يذكر الكتاب المقدس الملك سرجون اختصارًا للأحداث التاريخية، فهى ليست هدفًا للكتاب المقدس. ثم فى عام ٧٠٥ ق.م، ملك الملك سنحاريب، الذى كان يكره اليهود، وحاول الاستيلاء على المملكة الجنوبية لليهود، أى مملكة يهوذا وعاصمتها أورشليم، وحاصرها ووقف رئيس جيشه ربشاقى يعير اليهود (٢مل١٨: ١٩)، ويستهزئ بإلههم وأرسل رسائلاً من الملك سنحاريب مملوءة بالتهديد والتعيير لحزقيا ملك يهوذا. فصلى حزقيا واستنجد بأشعياء النبى، الذى طمأنه أن الله سينقذ شعبه وأرسل الله فى هذه الليلة ملاكه، فقتل مائة وخمسة وثمانين ألفًا من جنود سنحاريب وهرب الباقون بخزى إلى سنحاريب.

ع١٩-٢١: حاقه : حلت به.

طفق : استمر.

حنقه : غضبه الشديد.

ولما كان سنحاريب مغتاظًا جدًا، بسبب ما حدث لـــه، فقد حنق على اليهود الساكنين فى مملكـــته، فقتل الكثيرين منهم وشرد الآخرين، فعانوا من فقر وضيق شديدين، من جراء هذا الاضـــطهاد. وحينئذ أسرع طوبيا، بمحبته لعمل الرحمة، فى مساعدة المحتاجين، فكان يطعم الجياع ويكسو العراة ويدفن اليهود القتلى، الملقى جثثهم فى الشوارع، رغم أن سنه حينئذ كان قد جاوز الخمسين. وكان يقدم كل ما يستطيع من أمواله الخاصة، إذ كان من أغنياء اليهود فى السبى؛ نتيجة حظوته عند الملوك السابقين.

(٥) إنقاذ الله لطوبيا من يد سنحاريب (ع٢٢-٢٥):

٢٢ فنمى ذلك إلى الملك فأمر بقتله وضبط جميع ماله. ٢٣ فهرب طوبيا بولده وزوجته عاريًا واختبأ لأن كثيرين كانوا يحبونه. ٢٤ وكان بعد خمسة وأربعين يومًا أن قتل الملك ابناه. ٢٥ فعاد طوبيا إلى منزله ورُد عليه كل ماله.

ع٢٢: وسمع الملك سنحاريب بما يعمله طوبيا، فى مساعدة إخوته اليهود المضطهدين؛ فاغتاظ منه وأصدر أمرًا بقتله والاستيلاء على كل أمواله.

ع٢٣: فهرب طوبيا وزوجته حنة وابنه طوبيا فى الحال، تاركًا خلفه كل ممتلكاته واختفى عند أحد أحبائه اليهود، ولكثرة محبيه، لم يرشد إليه أحد، بل اهتموا بضيافته وإخفائه.

وســـنحاريب يرمـــز لإبلـــيس، الذى يغتاط من قوة الله، الذى يحمى شعبه، ويحاول أن يفترســـنا ولكـــن الله وإن كـــان يسمح بالضيقة أحيانًا ولكن فى حدود ولا يسمح للشيطان أن يسيطر علينا ويجعل الله مع التجربة المنفذ، كما جعل فى محبة اليهود واستضافتهم وإخفائهم لطوبـــيا وأسرته، سببًا لخلاصهم. وكذلك تظهر أيضًا محبة طوبيا لعمل الرحمة، وخاصة فى

الضيقات، فهو شجاع متكل على الله، يعمل عمل الله، مضحيًا بنفسه؛ لذا حفظه الله، فلم يؤذه الملك سنحاريب.

ع٢٤: ثـم نـرى انتقام الله من الأشرار؛ ليخلص أولاده، فبعد إنكسار جيش سنحاريب، الذى حاصر أورشليم وما نتج عنه من غيظ الملك سنحاريب وقتله لكثير من اليهود، أنه دخل ليسجد فى معبد الأوثان، لإله يدعى نسروخ؛ فهجم عليه ابناه وقتلاه بالسيف.

ع٢٥: وملك ابن آخر لـه مكانه، ويدعى اسرحدون الملك (٢مل١٩: ٣٧). وكان ذلك عام ٦٨١ ق.م وهذا لم يكن يكره اليهود، لذا أعاد لطوبيا كل أمواله وخرج طوبيا من اختفائه ورجع إلى بيته.

وقـد سـاعد رجـوع طوبيا إلى وظيفته الأولى أن ابن أخيه أخيكار (كما يذكر النص المطول لهذا السفر) شغل مركز رئيس السقاة وأمين السر ورئيس الشئون الإدارية والحسابات وقد كان هذا بتدبير الله، فاستعاد طوبيا كل مكانته الأولى.

✝ *وهكـذا يتحقق وعد الله، الذى يحارب عن أولاده وهم صامتون؛ ليطمئن قلب كل إنسان يعمل الخير ويتقى الله.*

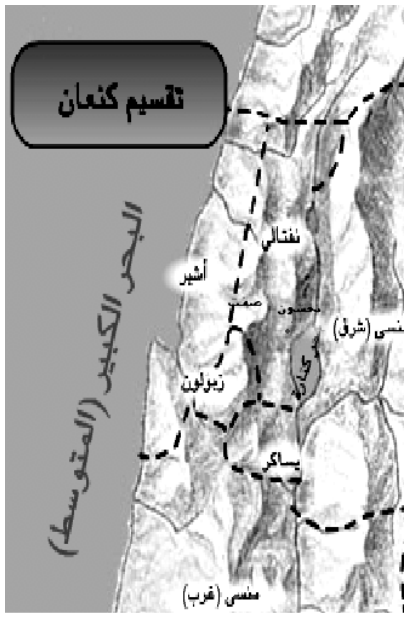

خــريطة (١) توضــح مكان سبط نفتالى حيث كان يعيش طوبيا

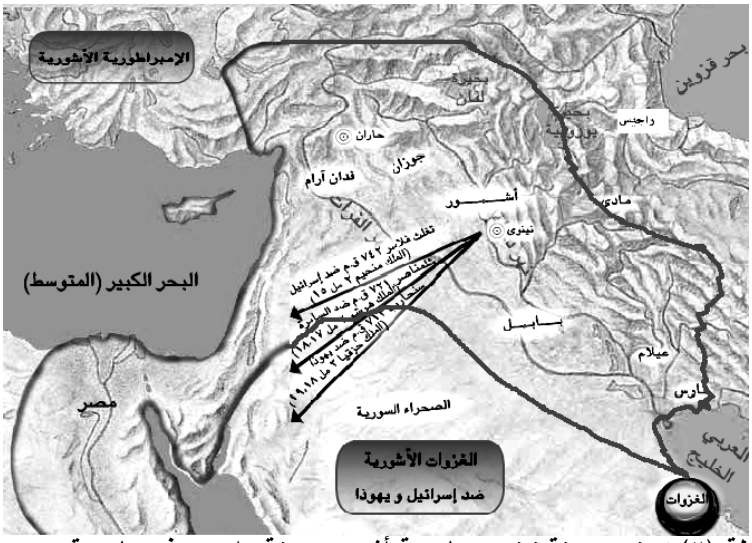

خريطة (٢) توضح مدينة نينوى عاصمة أشور ومدينة راجيس فى مادى قرب بحر قزوين ومدينة حاران

الأَصْحَاحُ الثَّانِى

طوبيا وعمل الرحمة وإصابته بالعمى

⁂

(١) تمسك طوبيا بأعياد الرب وأعمال الرحمة (ع ١-٩):

١ وكان بعد ذلك فى يوم عيد الرب أن صنعت مأدبة عظيمة فى بيت طوبيا. ٢ فقال لابنه هلم فادع بعضًا من سبطنا من المتقين لله ليأكلوا معنا. ٣ فانطلق ثم عاد فأخبره أن واحدًا من بنى إسرائيل مذبوح ملقى فى السوق. فلما سمع طوبيا نهض من موضعه مسرعًا وترك العشاء وبلغ الجثة وهو صائم. ٤ فرفعها وحملها إلى بيته سراً ليدفنها بالتحفظ بعد مغيب الشمس. ٥ وبعد أن خبأ الجثة أكل الطعام باكيًا مرتعدًا. ٦ فذكر الكلام الذى تكلم به الرب على لسان عاموس النبى أيام أعيادكم تتحول إلى عويل ونحيب. ٧ ولما غربت الشمس ذهب ودفنها. ٨ وكان جميع ذوى قرابته يلومونه قائلين لأجل هذا أُمر بقتلك وما كدت تنجو من قضاء الموت حتى عدت تدفن الموتى. ٩ وأما طوبيا فإذ كان خوفه من الله أعظم من خوفه من الملك كان لا يزال يخطف جثث القتلى ويخبأها فى بيته فيدفنها عند انتصاف الليل.

ع١: يتضح من سلوك طوبيا، أنه كان متمسكًا بالناموس وبأعياد الرب، رغم وجوده فى السبى بين الأمم بعيدًا عن أورشليم. وكان يستغل هذه المناسبات، لعمل ولائم محبة، تربط شعب الله فى الغربة بعضهم بالبعض، وتشجعهم وسط الضيقات، بالإضافة إلى أنها فرصة لدعوة الفقراء والمحتاجين.

وكان هذا العيد هو عيد العنصرة (كما يذكر النص المطول لهذا السفر) وهو عيد الأسابيع والذى تدعو الشريعة فيه إلى الاهتمام بالفقراء والغرباء والمحتاجين (تث١٦: ١١، ١٢)، فكان طوبيا مهتمًا بالأكثر بهذا العيد وعمل وليمة كبيرة، دعى فيها إخوته اليهود، خاصة الفقراء.

ع٢: فكان يطلب من ابنه، أن يدعو متقى الله من سبطه؛ ليشاركوه فى هذه الوليمة. لذا تهــتم الكنيسة فى العهد الجديد بإقامة الأعياد المقدسة، التى يجتمع فيها المؤمنون حول مائدة الرب، أى مذبحه المقدس ويتناولون من جسده ودمه الأقدسين، فهذا يشجعهم أثناء غربتهم فى هذا العالم، كما أنها فرصة للاهتمام بالفقراء والمحتاجين؛ ليفرحوا مع كل المؤمنين.

ع٣: ويظهر أيضًا اقتداء طوبيا الابن بأبيه فى عمل الرحمة، فبينما هو يدعو اليهود الاتقياء المهتمين بأعياد الرب؛ لحضور الوليمة، لاحظ فى ساحة السوق أحد اليهود مذبوحًا وملقى على الأرض، ممن تمتد إليهم يد الحاكم المضطهد، فأسرع يخبر والده طوبيا بما رآه، فترك الأب الوليمة ولم يأكل؛ ليعمل الرحمة أولاً.

ع٤: فأسرع طوبيا وحمل الجثة بهدوء وأخفاها فى بيته، حتى يأتى الليل، فيستطيع أن يدفنها بعيدًا عن أعين جنود الحاكم، الذين يريدون التنكيل باليهود، وهنا تظهر محبة طوبيا لعمل الرحمة، قبل راحته وأفراحه وطعامه الضرورى.

ويذكر النص المطول تمسك طوبيا بالشريعة، فاغتسل بعد انقضاء اليوم وبهذا تطهر واستطاع أن يأكل من الوليمة، فهو مدقق فى تطبيق الشريعة فى أصعب الظروف، إذ تقضى الشريعة أن على من يتنجس بلمس ميت أن يظل نجسًا حتى المساء ثم يغتسل، فيصير طاهرًا، فيستطيع أن يأكل ويلمس كل شئ (لا٢٢: ٦).

ع٥: وتظهر هنا أيضًا مخافة الله فى قلب طوبيا، إذ شعر بأن سماح الله بقتل أبناء شعبه؛ هو لكثرة خطاياهم وبعدهم عن الله، فكان قلبه خاشعًا، خائفًا الله، ممتزجًا بمشاعر الحب والتأثر على موت الأحباء ومشاركًا أحزان أسرة الشهيد عليه. فطوبيا يحمل قلبًا مملوءً بالحب لله وللآخرين.

ع٦: إلى جانب ذلك، كان طوبيا واعيًا ودارسًا للأسفار المقدسة، متأثرًا بها، فتذكر أقوال الأنبياء ومنهم عاموس (عا٨: ١٠)، الذى نبه وأنذر بقضاء الرب، أن تتحول الأعياد إلى نوح وبكاء؛ ليرجع الناس بالتوبة لله وعاموس النبى كان يسبق طوبيا بحوالى مائة وخمسين عامًا.

ع٧: وفى ستار الليل وظلمته، استطاع طوبيا أن يدفن جثة الشهيد، بعيدًا عن أعين جنود الحاكم.

ع٨: واندهش المجتمعون فى وليمة بيته، بل وكل أقربائه من استمراره فى عمل الرحمة ودفن الموتى؛ لأنه بهذا السبب أمر الملك سنحاريب قبلاً بقتله، وهرب طوبيا ونجاه الله، كما ذكرنا، ووبخوه وحذروه من دفن الموتى ومساعدة المحتاجين؛ لأنه بهذا يعرض نفسه للموت الأكيد.

ع٩: وهنا يظهر إيمان طوبيا ومخافته لله، فلم يهتز ويخاف من كلامهم، بل استمر فى عمل الرحمة. وقد حفظه الله، فلم تمتد يد الملك إليه.

✝ *إذا كان إيمان الإنسان بالله قويًا ، سيخاف الله ويهتم بتنفيذ وصاياه، دون الاهتمام بكلام المحيطين به، بل وأيضًا يتخلى عن فكره الشخصى، إذ يثق فى قوة الوصية. ولأجل محبته لله، يكون مستعدًا أن يضحى بحياته وحينئذ تتجلى نعمة الله التى تحفظه، بل وتباركه وتميزه عن كل من حوله، كما حدث مع دانيال النبى، الذى القى فى جب الأسود؛ لتمسكه بالصلاة لله، فأرسل الله ملاكه وسد أفواه الأسود وأنقذه ورفعه الملك إلى مكانة أعظم وقتل المشتكين عليه.*

إحذر أن يكون خوفك على من حولك سببًا فى تثبيط همتهم وإثنائهم عن عبادة الله وخدمته.

(٢) إصابة طوبيا بالعمى وثباته فى الإيمان (ع١٠-١٨):

١٠ واتفق فى بعض الأيام وقد تعب من دفن الموتى أنه وافى بيته فرمى بنفسه إلى جانب الحائط ونام. ١١ فوقع ذرق من عش خطاف فى عينيه وهو سخن فعمى. ١٢ وإنما أذن الرب أن تعرض له هذه التجربة لتكون لمن بعده قدوة صبره كأيوب الصديق. ١٣ فإنه إذ كان لم ينفك عن تقوى الله منذ صغره وحافظًا لوصاياه لم يكن يتذمر على الله لما ناله من بلوى العمى. ١٤ ولكنه ثبت فى خوف الله

شاكرًا له طول أيام حياته. ١٥ وكما كان القديس أيوب يعيره الملوك كان أنسباء هذا وذووه يسخرون من عيشته قائلين. ١٦ أين رجاؤك الذى لأجله كنت تبذل الصدقات وتدفن الموتى. ١٧ فيزجرهم طوبيا قائلاً لا تتكلموا كذا. ١٨ فإنما نحن بنو القديسين وإنما ننتظر تلك الحياة التى يهبها الله للذين لا يصرفون إيمانهم عنه أبدًا.

ع١٠: **وافى** : وصل إلى.

استمر طوبيا فى اهتمامه بدفن جثث الشهداء، رغم ما تحتاجه من مجهود كبير. وفى أحد الأيام، بعد عناء دفن الكثيرين، وكان عمره حينذاك ستة وخمسين عامًا، عاد إلى بيته وكان متعبًا جدًا ومن شدة تعبه، نام فور وصوله إلى البيت، مستندًا على حائط خارج بيته.

ع١١: **ذرق** : فضلات (براز) الطائر.

خطاف : طائر السنونو وهو نوع من الطيور والقواطع عريض المنقار دقيق الجناح طويله منتفش الذيل.

وكان جلوسه تحت عش طائر، فسقط من العش فضلات (براز) هذا الطائر وكانت ساخنة، فوقعت على عينيه ولعله أفاق من نومه على هذه المواد الساخنة والتى تحوى أحماضًا، أو موادًا شديدة الضرر بالعين؛ فأفقدته بصره وصار أعمى لا يرى شيئًا.

ويلاحظ أن فضلات هذا الطائر عبارة عن سائل لزج، إذا وقع على العين انتشر عليه وامتص بسرعة. ودرجة حرارته حوالى إثنين وأربعين درجة مئوية ويحوى على يورك أسيد (Uric acid)، الذى يهيج جفون العين وكذلك يحتوى على النشادر (الأمونيا)، التى تسبب تلف خلايا العين وتوقف العمليات الحيوية بها. وبهذه الفضلات أيضاً بعض الأملاح، التى تتلف شبكية العين. وحيث أنه لم تكن هناك وسائل سريعة لإسعاف العين، فقد فقدت القدرة على الإبصار. *

* N&P.N. Fathers V. 6, 384

ع**١٢:** يعلن الوحى الإلهى قصد الله من هذه التجربة الصعبة، أن يتزكى طوبيا وتظهر فضيلة الصبر فيه ويكون قدوة للآخرين ومثالاً فى الصبر كأيوب.

وهناك تشابه بين سفرى أيوب وطوبيا يظهر فيه ما يلى :

١- كان الإثنان مثالاً للصبر.

٢- الإصحاح الأول فى كل منهما يتحدث عن شخصيته.

٣- تظهر علاقة الملائكة بالبشر فى السفرين.

٤- يظهــر حسد الشيطان ومقاومته لأولاد الله الأتقياء فى السفرين، ثم انتصارهم عليه بقوة الله.

٥- اهتمام الله بكل صلوات وكلمات البشر الطيبة والردية تظهر واضحة فى السفرين.

٦- تذمر الزوجة والأصدقاء ولومهم لأيوب وطوبيا.

٧- إعــلان الله صــوته بوضوح فى نهاية السفر، سواء بنفسه فى حالة أيوب، أو عن طريق رئيس ملائكته فى حالة طوبيا.

٨- إختتام كلا السفرين ببركات الله لمن يتقيه، أى أيوب وطوبيا.

ع١٣: **لم ينفك :** لم يزل.

وقد حدث ذلك فعلاً؛ إذ استمر طوبيا فى تقواه وحفظ وصايا الله، راضيًا بهذه التجربة.

ع**١٤:** وقد ظل طوبيا بعد التجربة أيضًا، شاكرًا الله، مدققًا فى سلوكه بمخافة الله.

ع**١٥:** ذووه : **أقاربه.**

وتظهــر فضائل طوبيا فى احتماله التعيير وثباته فى الإيمان، مثل القديس أيوب، الذى أحتمل تعييرات من أصدقائه الأغنياء، الذين هم ملوك فى أراضيهم.

ع١٦: فكـــان أقـــارب طوبيا وأصدقاؤه يعيرونه بمرضه ويحاولون دفعه لليأس من الله، الذى تركه يصاب بهذه التجربة ويشككونه فى جدوى وفائدة كل أعمال الرحمة التى عملها.

ع١٧: أما هو فوبخهم، حتى لا يتكلموا بمثل هذا الكلام.

ع١٨: وأعلـــن لهـــم بأنهم شعب الله المقدسين فيه وبنو القديسين، يحيون لرجاء الحياة الأبديـــة؛ لـــذلك يعملـــون كل الفضائل وأعمال الرحمة ولا يهتمون بالأرضيات، مهما أتتهم التجارب، بل يظلوا ثابتين فى إيمانهم.

يذكر النص المطول أن أخيكار إبن أخى طوبيا، الذى كان قد ساعده على الرجوع إلى وظيفـــته بعـــد موت سنحاريب (ص١: ٢٥)، إهتم به بعد فقد نظره، فكان يعوله لمدة سنتين ويهـــتم بشئونه، ثم عاد إلى بلده التى كان يقيم فيها وهى ألمايس (عيلام) وبهذا أصبح طوبيا محتاجًا جدًا لقوته اليومى.

✝ *ثـــق أن كل تجربة تمر بك، مهما كانت صعبة، فهى بسماح من الله، لمنفعتك. وإن كان إبلـــيس، أو الناس الأشرار يقصدون بك شرًا، فالله سيحول الشر إلى خير. المهم أن تتقبل التجـــربة برضى وشكر من يد الله وتلتجئ لله بالتوبة والصلاة وتواظب على الممارسات الـــروحية. وثق أيضًا أن التجربة ضرورية لخلاصك؛ لتتزكى أمام الله وتجد مكانًا عظيمًا فى السموات.*

(٣) تعييرات زوجته (ع١٩-٢٢):

١٩ وكانت حنة امرأته تذهب كل يوم إلى الحاكة وتأتى من تعب يديها بما يتأتى لها تحصيله من الميرة. ٢٠ وأتفق أنها أخذت جديًا وحملته إلى البيت. ٢١ فلما سمع بعلها صوت ثغاء الجدى قال انظروا لعله يكون مسروقًا فردوه على أربابه إذ لا يحل لنا أن نأكل ولا نلمس شيئًا مسروقًا. ٢٢ فأجابته امرأته وهى مغضبة قد وضح بطلان رجائك وصدقاتك الآن قد عرفت. وبهذا الكلام ومثله كانت تعيره.

ع١٩: **الحاكة** : الخياطة.

ميرة : أطعمة.

إذ عجز طوبيا البار عن العمل وفارقه إبن أخيه أخيكار، لفقده بصره، اضطرت زوجته حنة أن تعمل خارج بيتها. وهذا لم يكن معتادًا فى ذلك الزمان، فإذ كانت تعرف الخياطة ذهبت إلى مشغل يقوم بتفصيل الملابس وعملت عندهم وما كانت تتقاضاه أجرًا، كانت تشترى به أطعمة.

ع٢٠: واستطاعت حنة أن تجمع بعض النقود واشترت جديًا وأتت به إلى المنزل.

ع٢١: **بعلها** : زوجها.

ثغاء : صوت الجدى.

أربابه : أصحابه.

فحـــين سمع طوبيا الأعمى صوت الجدى تعجب، فمن أين لزوجته بثمن الجدى ! وهذا يظهـــر مدى الفقر الذى وصلت إليه أسرة طوبيا، إذ كانوا يقتاتون بالطعام الضرورى القليل. فظـــن طوبـــيا وخاف أن تكون امرأته، أو ابنه، تحت ضغط الفقر والاحتياج، قد سرقوا هذا الجدى؛ فطلب إعادته إلى أصحابه، وهنا يظهر مدى تقوى وأمانة وتمسك طوبيا بوصايا الله وسط الضيقة، فهو حقًا طوبيا المطوب من الله لقداسته.

ع٢٢: أما حنة زوجته والتى معنى اسمها حنان، فهى تمثل الحنان البشرى المحدود، فقد عملت لأجل إعاله أسرتها ولكن بضيق. وأمام ظن زوجها أن يكون الجدى مسروقًا، غضبت بشدة وأعلنت تذمرها الدفين فى قلبها وعيرت زوجها الأعمى، معلنة بطلان رجائه وصدقاته؛ إذ تركه الله يسقط فى هذه التجربة الصعبة. مع هذا فقد احتمل القديس طوبيا كلامها، ثابتًا فى إيمانه.

✝ *ويظهر هنا الفرق بين قبول التجربة من الله وبين احتمالها؛ لأنه لا فرار منها. ففى الحالة الأولى، يشعر الإنسان بمعونة الله تقويه فى التجربة ويشعر بسلام داخلى وينال بركات وفيرة. وهذا ما فعله طوبيا. أما فى الحالة الثانية، فالإنسان يحتمل؛ لأنه لا يوجد بديل آخر ويعتمد لا على الله، بل على ذاته، فيسقط فى الضيق والاكتئاب والتذمر وأحيانًا اليأس ويسئ للآخرين. وهذا ما فعلته حنة امرأة طوبيا.*

تمسك بالله فى الضيقة والسعة وتمتع بعشرته كل حين؛ فلا تشعر بالضيق طوال حياتك.

الأَصْحَاحُ الثَّالِثُ

صلوات طوبيا وسارة وموت أزواج سارة السبعة

⁂

(١) صلاة طوبيا (ع١-٦):

١ حينئذ أن طوبيا وطفق يصلى بدموع. ٢ وقال عادل أنت أيها الرب وجميع أحكامك مستقيمة وطرقك كلها رحمة وحق وحكم. ٣ فالآن أذكرنى يا رب ولا تنتقم عن خطاياى ولا تذكر ذنوبى ولا ذنوب آبائى. ٤ لأنّا لم نطع أوامرك فلأجل ذلك أسلمنا إلى النهب والجلاء والموت وأصبحنا أحدوثه وعارًا فى جميع الأمم التى بددتنا بينها. ٥ فالآن يا رب عظيمة أحكامك لأنّا لم نعمل بحسب وصاياك ولا سلكنا بخلوص أمامك. ٦ والآن يارب بحسب مشيئتك إصنع بى ومر أن تقبض روحى بسلام لأن الموت لى خير من الحياة.

ع١: بعد تزايد الضيقة على طوبيا، لم يخطئ نحو الله، أو الناس ولكنه عبر عن مشاعره وألقى كل حمله على الله، فى صلاة مملوءة بمشاعر الحزن والأنين من الضيقة ومزج صلاته بدموعه، إنها صلاة من القلب. وقدم صلاة متكاملة شملت :

ع٢: ١- تمجيد الله، فنسب له العدل والاستقامة والرحمة والحق والحكمة.

ع٣-٥: أحدوثه : صار مجالاً لسخرية الناس وحديثهم.

٢- الاعتراف فى توبة بالخطية وليس خطاياه فقط، بل خطايا آبائه وعدم حفظ وصايا الله والقلب غير النقى والنية غير الخالصة. وهذه الخطايا أدت إلى سقوطهم فى السبى وتعرضهم للنهب والقتل، بل وصاروا عارًا وشعبًا تافهًا مزدرى به.

ع٦: ٣- وقــد طلــب مــن ضغط الضيقة عليه، أن يسمح الله ويأمر بأن تنتهى حياته؛ ليخلص من هذه الأتعاب، ولكنه وضع شرطًا لطلبته، أن تكون بحسب مشيئة الله، فيظهر هنا الاتكال والتسليم لله.

(٢) سارة ابنة رعوئيل وموت أزواجها السبعة (ع٧-١٢):

٧ واتفق فى ذلك اليوم عينه أن سارة إبنة رعوئيل فى راجيس مدينة الماديين سمعت هى أيضًا تعييرًا من إحدى جوارى أبيها. ٨ لأنه كان قد عقد لها على سبعة رجال وكان شيطان اسمه أزمونداوس يقتلهم على أثر دخولهم عليها فى الحال. ٩ وإذا كانت تنتهر الجارية لذنب أجابتها قائلة لا رأينا لك إبنًا ولا ابنة على الأرض يا قاتلة أزواجها. ١٠ أتريدين أن تقتلينى كما قتلت سبعة رجال. فلما سمعت هذا الكلام صعدت إلى عليّة بيتها فأقامت ثلاثة أيام وثلاث ليال لا تأكل ولا تشرب. ١١ بل استمرت تصلى وتتضرع إلى الله بدموع أن يكشف عنها هذا العار. ١٢ ولما أتمت صلاتها فى اليوم الثالث وباركت الرب.

ع٧: **سارة** : كلمة عبرية معناها أميرة.

رعوئيل : كلمة عبرية معناها صديق الله.

لقد كانت هذه الأسرة مرتبطة بالله فى حب وصداقة، كما يظهر من هذا السفر. وكانت سارة متميزة فى علاقتها مع الله كأميرة وكانت تقيم فى مدينة صغيرة بجوار مدينة راجيس فى بلاد الماديين، التى استولى عليها الأشوريون ونقلوا إليها بعض اليهود كما ذكرنا سابقًا. ولقرب مدينة رعوئيل من راجيس سميت باسمها، باعتبار راجيس تشمل المدينة الكبيرة والبلاد المحيطة بها. وفى نفس اليوم الذى سمع فيه طوبيا تعييرًا من زوجته حنة، سمعت سارة تعييرًا من إحدى جوارى أبيها. وهذا يظهر أن رعوئيل كان رجلاً غنيًا، له منزل كبير وجوارى.

ع٨: **ازموداوس** : اسم إله وثنى فارسى وإسم أزموداوس معناه روح العنف والتدمير، أو روح الشهوة الجنسية.

وسبب تعيير الجارية لسيدتها، أن سارة كانت قد تزوجت، وفى ليلة الزواج، فور دخول زوجها إليها فى المخدع؛ للاقتران بها، هجم عليه شيطان اسمه أزموداوس، فآلهة الأمم كلها شياطين وهو يمثل القسوة والبطش وقتل الزوج. وقد تكرر هذا الأمر سبع مرات، أى قتل الشيطان سبعة أزواج، حاولوا الاقتران بسارة ولعلهم كانوا من الأمم وعدد سبعة يمثل الكمال، فيظهر سلطان الشيطان. ولعل أزواج سارة ليسوا من شعب الله، أى كانوا وثنيين غير مؤمنين، أو كانوا من اليهود الغير متمسكين بالإيمان ووصايا الله. وأيًا كانوا، فسبب اقترانهم بها، كان الشهوة الجسدية والغنى، الذان كانت تتمتع بهما.

ع٩: وإذ أخطأت إحدى الجوارى فى عمل ما، انتهرتها سيدتها سارة، فردت عليها الجارية بوقاحة، بل وباتهامات زور وعيرتها بأنها فشلت فى الزواج سبع مرات وبالتالى لم تنجب ابنا، أو ابنة مثل باقى النساء وكذلك اتهمتها زورًا، بأنها هى القاتلة للأزواج السبعة وهذا أمر يرفضه حتى المنطق العادى، فلماذا تقتل عروس عريسها الذى فرحت بالاقتران به؟!

ع١٠: واتهمت أيضًا الجارية سيدتها بالشروع فى قتلها وذلك بتساؤلها : هل تريدين أن تقتلينى؟

ع١١: ولأن التعيير كان شديدًا، تعبت جدًا سارة وصعدت إلى حجرة فى الدور العلوى (عليّة) ومكثت فيها ثلاثة أيام وثلاث ليال، لم تذق طعامًا فى صوم وصلاة مستمرة بدموع؛ ليرفع الله عنها عارها.

وكان أتقياء اليهود قديمًا يبنون أحيانًا فوق أسطح منازلهم حجرة صغيرة، يقضون فيها بعض الأوقات؛ للتعبد والصلاة. وكانوا يصنعون كوى (نوافذ) لهذه الحجرة تطل على ناحية الهيكل فى أورشليم، حتى أيام السبى؛ ليتذكروا هيكل الله ويقدموا له العبادة. وقد ذكرت هذه العلية فى حياة دانيال (دا ٦: ١٠، ١١) وكذلك فى حياة يهوديت (يهو ٩: ١). ونلاحظ أيضًا

عُلية بيت مارمرقس، التى اجتمع فيها المسيح مع تلاميذه وأسس سر الإفخارستيا وظهر فيها أيضًا بعد قيامته وحل عليهم الروح القدس فيها (مر١٤: ١٥، أع ١ : ١٣).

والدموع تدل على شدة حزنها. وقد تكررت الدموع فى هذا السفر كثيرًا، مما يبين رقة المشاعر وقوة العواطف عند الشخصيات التى ظهرت فى هذا السفر، سواء عند الحزن، أو الفرح. وهذه هى المواقف التى ذكرت فيها الدموع فى هذا السفر :-

١- بكاء طوبيا فى العيد عندما قام ليدفن أحد الموتى اليهود (ص٢: ٧).
٢- دموع طوبيا فى صلاته؛ بعدما فقد بصره (ص٣: ١).
٣- بكاء سارة، بعد تعيير جاريتها لها (ص٣: ١٠).
٤- بكاء أم طوبيا عليه، بعد مفارقته لها وسفره لاسترداد قيمة الصك (ص٥: ١٨).
٥- بكاء رعوئيل وزوجته حنة وابنتهما سارة، عندما تقابلوا وتعرفوا على طوبيا الابن (ص٧: ٦-٨).
٦- بكاء حنة أم سارة عند زواج ابنتها خوفًا من موت طوبيا (ص٧: ١٦).
٧- بكاء غابيلوس عند مقابلة طوبيا فى بيت رعوئيل فرحًا بلقائه (ص٩: ٦).
٨- بكاء حنة أم طوبيا؛ لتأخر طوبيا على الرجوع من سفره (ص١٠: ٣، ٧).
٩- بكاء طوبيا وحنة امرأته عند رجوع ابنهما طوبيا (ص١١: ٩، ١٣).

ع١٢: وقد كانت صلاة بدون تذمر، إذ كانت سارة تبارك الله فيها.

✝ *إن الله هو ملجأ لأولاده المؤمنين به، فعندما عيرت حنة طوبيا زوجها، أسرع للصلاة ولم يتشاجر مع امرأته ولم يلتجئ للبشر العاجزين عن معونته. وهكذا سارة أيضًا، أسرعت تختلى بالله فى صوم وصلاة، أمام تعييرات واتهامات جاريتها. فالله هو أبونا السماوى وبابه مفتوح لنا دائمًا بالحب والحنان؛ ليسمع صلواتنا ويعيننا فى ضيقاتنا، بل ويرفعها عنا ويعطينا عزاء وسلام أثناء الضيقة وفى كل أيام حياتنا. ليتنا نسرع نحو الله مثل هذين القديسين طوبيا وسارة، فنجد راحتنا فى الكنيسة وأسرارها، أى فى الاعتراف والتناول وكل وسائط النعمة، خاصة الصلاة والكتاب المقدس.*

(٣) صلاة سارة (ع١٣-٢٣):

١٣ قالت تبارك اسمك يا إله أبائنا الذى بعد غضبه يصنع الرحمة وفى زمان البؤس يغفر الخطايا للذين يدعونه. ١٤ إليك يا رب أقبل بوجهى وإليك أصرف ناظرى. ١٥ أتوسل إليك يا رب أن تحلنى من وثاق هذا العار أو تأخذنى عن الأرض. ١٦ إنك يا رب عالم بأنى لم أشته رجلاً قط وأنى قد صنت نفسى منـــزهة عن كل شهوة. ١٧ ولم أكن قط أمازج أرباب الملاهى ولا أعاشر السالكين بالطيش. ١٨ وإنما رضيت بأن أتخذ رجلاً لخوفك لا لشهوتى. ١٩ ولعلى لم أكن مستأهله لهم أو لم يكونوا مستحقين لى فلعلك أبقيتنى لبعل آخر. ٢٠ لأن مشورتك لا يدركها إنسان. ٢١ على أن من يعبدك يوقن أن حياته إن أنقضت بالمحن فستفوز بإكليلها وإن حلت به شدة فسينقذ وإن عرض على التأديب فله أن يرجع إلى رحمتك. ٢٢ لأنك لا تسر بهلاكنا فتلقى السكينة بعد العاصفة وبعد البكاء والنحيب تفيض التهلل. ٢٣ فليكن اسمك يا إله إسرائيل مباركًا مدى الدهور.

ختمت سارة صلوات الثلاثة أيام بهذه الصلاة، التى تظهر إيمانها ومشاعر قلبها. وفى الجزء الأول من هذه الصلاة تعلن فيه :

ع١٣: ١- اتضاعها واعترافها بخطيتها، وأيضًا رجاؤها فى الله الرحوم، الذى وإن سمح ببعض الضيق، لكنه يعود فيرحم ويرفع التجربة.

ع١٤: ٢- التجاؤها بكل قلبها ورفع عينيها لله، وليس لأحد آخر فى العالم.

ع١٥: ٣- طلبها من الله أن يرفع عنها العار، الذى يتعبها نفسيًا ويذلها، أو ينهى حياتها على الأرض حسب مشيئته. وهذا يبين مدى الضيق الذى تعانيه.

ع١٦: ثم تعلن هنا سارة التقية، تمسكها بحياة العفة، كفتاة قبل الزواج.

ع١٧: وكذلك اعتزالها عن الشباب الطائش والمحب للملاهى العالمية الفاسدة.

ع١٨: وأيضًا عندما قبلت الزواج لم يكن هدفها هو الشهوة الجسدية، بل تكوين أسرة فى مخافة الله. ومن أجل نقاوة قلبها لم يستطع الشيطان أزمورداوس أن يمسها بأذى مع قتله لأزواجها، فهذا يؤكد اقبالهم على الزواج بغرض الشهوة الجسدية فقط.

ع١٩: وفى اتضاع وتسليم لمشيئة الله، تقبل فشل زيجاتها السبعة السابقة، حيث تؤمن أنهم غير مناسبين لها وباتضاع تقول أنها غير مستأهلة لهم. وفى رجاء تنتظر الرجل الذى يعده الله زوجًا مناسباً لها.

ع٢٠: وأخيرًا تعلن سارة إيمانها بسمو حكمة الله.

ع٢١، ٢٢: وإن كان الله يسمح بالتأديب، فكل أولاده يثقون أنه يعود فينقذهم ويرحمهم. فالله يريد ويفرح بخلاص أولاده وليس هلاكهم ويسر بفرحهم وتهليلهم، فيسمح بالضيقة؛ لكيما يعطيهم الفرح بعدها.

ع٢٣: وهو يستحق البركة والإكرام إلى الأبد. وهكذا تنهى سارة صلاتها بتمجيد الله والخضوع له.

✝ *إن سارة مثال للشباب المتزن، الذى يهتم بحياة الطهارة فى كل سلوكه وكلامه، حتى لو ضحى ببعض الأصدقاء الغير أنقياء، مهما كانت معزتهم ولو ضحى أيضًا ببعض وسائل الترفيه والمجالس، التى تفقد الإنسان طهارته. هل تدققون يا إخوتى الشباب، بل وكل إنسان فى حياته للحفاظ على الطهارة والتمتع بعشرة الله ومحبته ؟*

وهل يقتدى الشباب المقبل على الزواج، بفكر سارة وسلوكها ؟ ويكون أساس الاختيار ليس مبنيًا على الجمال الخارجى والشهوات والماديات، إنما هو اختيار للشخص الذى يعمل على تكوين أسرة مسيحية، وينمى العلاقة مع الله، فنتمتع بمشاعر حب نقى فى ألفة ومودة فى اتحاد بالمسيح يسوع.

(٤) استجابة صلوات طوبيا وسارة (ع٢٤-٢٥):

٢٤ فى ذلك الحين استجيبت صلوات الإثنين أمام مجد الله العلى. ٢٥ فأرسل الرب ملاكه القديس رافائيل ليشفى كلا الإثنين اللذين رفعت صلواتهما فى وقت واحد إلى حضرة الرب.

ع٢٤: وهنا تظهر الصلوات الحارة النابعة من القلب، التى ترفعها الملائكة فى الحال، أمام عرش الله العظيم فى السماء وكيف يستجيب الله باهتمام لهذه الصلوات، إذ أرسل رئيس الملائكة العظيم رافائيل؛ ليحل ضيقة كل منهما ويشفيه من أتعابه.

ع٢٥: رافائيل : أحد الثلاثة رؤساء الملائكة العظام، ميخائيل وجبرائيل ومعنى اسمه رأفة الله.

وهذا يبين ليس فقط محبة الله وحنانه من نحونا، بل وأيضًا محبة الملائكة وخدمتهم لنا.

وتعيد الكنيسة للملاك رافائيل فى اليوم الثالث من الشهر الصغير (النسئ). ويقول القديس يوحنا ذهبى الفم أنه فى هذا اليوم ظهر الملاك رافائيل لتلاميذ المسيح. وهناك عيد آخر للملاك رافائيل، تذكارًا لبناء أول كنيسة على اسمه، بناها الملك أركاديوس على شاطئ نهر البوسفور وهذا العيد يوافق يوم ١٣ كيهك.

الأَصْحَاحُ الرَّابِعُ

وصية طوبيا لابنه

(١) إكرام والدته (ع١-٥):

١ وإذ خال طوبيا أن قد استجيبت صلاته وتهيأ له أن يموت استدعى إليه طوبيا ابنه. ٢ وقال له اسمع يا بنى كلمات فىَّ واجعلها فى قلبك مثل الأساس. ٣ إذا قبض الله نفسى فادفن جسدى وأكرم والدتك جميع أيام حياتها. ٤ واذكر ما المشقات التى عانتها لأجلك فى جوفها وما كان أشدها. ٥ ومتى أستوفت هى أيضًا زمان حياتها فادفنها إلى جانبى.

ع١: **خال** : ظن.

بعدما صلى طوبيا اطمأن قلبه، وشعر أن الله سيستجيب له ويخلصه من ضيقته، وهذا يظهر إيمانه القوى ولكنه تخيل، أو ظن أن إنقاذه من الضيقة سيكون بإنهاء حياته (الله استجاب فعلاً ولكنه وضع حلاً آخراً لضيقته، بشفائه من مرضه، كما سيظهر فيما بعد).

✝ *يا لسعادة الإنسان الذى يؤمن باستجابة الله لصلاته؛ إذ يستريح قلبه ويطمئن أنه قد ألقى مشكلته، بل وحياته كلها فى اليد الأمينة التى ترعاه وتحبه أكثر من نفسه.. ألا وهى يد الله الحانية. وعلى قدر ما يوجه قلبه بالصلاة نحو الله فى كل احتياجاته، يشعر بسلام يفوق كل عقل ويتمتع بفرح دائم.*

ع٢: ولذا استدعى طوبيا ابنه ليوصيه وصيته الأخيرة وهى نصائح غالية جدًا، يحتاجها كل إنسان، إذ تمثل خلاصة فكر القديس طوبيا الذى طلب من ابنه أن يجعلها أساسًا لحياته.

ع٣: كان إيمان طوبيا الأب أن الله هو الذى سوف يأخذ روحه عند الموت، وهذا إيمان كل أولاد الله، فأوصى ابنه حينئذ بدفن جسده.

ع٤: ثم أوصاه بإكرام والدته، مذكرًا اياه بما احتملته من أجله فى الحبل والولادة وفى كل رعايتها له، وهذا ما ينبغى أن يتذكره كل إنسان، فيتذكر كل ما احتمله والداه لأجله؛ فيسرع لإكرامهما، منفذًا وصية الله ويظل هكذا طوال حياتهما وبعد هذا يدفنهما بإكرام.

ع٥: وأوصى الوالد أن يدفن جسد امرأته بجوار جسده، وهذا يظهر محبته لها، حتى بعد الموت، متناسيًا غضبها وتعييرها له وكل أخطائها، فالمحبة تنسى الإساءة وتسامح.

✝ *ليتك يا أخى تسامح الآخرين على أخطائهم سريعًا؛ ليصفو قلبك وتصبح المحبة هى المسيطرة على مشاعرك نحوهم وبالتالى تهتم بهم وتكرمهم وتتمتع أثناء كل هذا بسلام وفرح لا ينقطعان.*

(٢) الصدقة وبركاتها (ع٦-١٢):

٦ وأنت فليكن الله فى قلبك جميع أيام حياتك واحذر أن ترضى بالخطيئة وتتعدى وصايا الرب إلهنا. ٧ تصدق من مالك ولا تحول وجهك عن فقير وحينئذ فوجه الرب لا يحول عنك. ٨ كن رحيمًا على قدر طاقتك. ٩ إن كان لك كثير فابذل كثيرًا وإن كان لك قليل فاجتهد أن تبذل القليل عن نفس طيبة. ١٠ فإنك تدخر لك ثوابًا جميلاً إلى يوم الضرورة. ١١ لأن الصدقة تنجى من كل خطيئة ومن الموت ولا تدع النفس تصير إلى الظلمة. ١٢ إن الصدقة هى رجاء عظيم عند الله العلى لجميع صانعيها.

ع٦: ثم بدأ يوصيه بأمور محددة أولها الصدقة، فإذا أحب الله وشبع برعايته، فلن يقبل الخطية؛ لأنها كسر لوصية الله الذى يحبه من كل قلبه، وهكذا يستطيع أن يتخلى عن أنانيته وقلقه على ذاته؛ فيحب الآخرين ويهتم بهم ويعطيهم أقصى ما يستطيع من ماله وجهده.

ع٧، ٨: ثم أعلن له بوضوح أن يكون رحيمًا ولا يهمل الفقير، لئلا يهمله الله ولا يسمع طلبته.

ع٩: وطالبه أن يعطى قدر ما عنده، فإن كان غنيًا يعطى كثيرًا، وإن كان فقيرًا يعطى القليل ولكن برضى، غير متعلق بالمال، أو قلق على احتياجاته.

ع١٠-١٢: ثم يعده ببركات الصدقة، إذ أن لها أجراً عظيماً عند الله، فمن أجل الصدقة يرحمه الله ويبعده عن الخطية؛ فلا يسقط فيها ويسامحه إذا سقط ويوجه قلبه للتوبة وينقذه من الموت والهلاك الأبدى، فالصدقة تعطى رجاءً ثابتًا فى الأبدية السعيدة.

ويلاحظ هنا أنه عندما فقد طوبيا الشيخ بصره ازدهرت وقويت داخله بصيرته، فاستطاع – بإرشاد الروح القدس – أن يعطى كل هذه الوصايا لابنه، فإن كان الابن مبصرًا بعينيه الخارجيتين ولكنه محتاج لإرشاد أبيه الفاقد البصر. ويتكلم طوبيا الأب بثقة عن أهمية الصدقة، التى تنجى من الظلمة، أى العذاب الأبدى وهذا معناه أنه غير منزعج من ظلمة عينيه الخارجيتين، بل قلبه متعلق بالنور السماوى فى الملكوت الأبدى ولذا يوصى ابنه أن يهتم بالصدقة، التى توصله إلى الملكوت ولا ينشغل مثل باقى البشر بالمقتنيات المادية.

✝ *ما أعظم أن تعطى رغم أن ما عندك قليل، بل تشعر بفقرك واحتياجك المادى، فالعطاء هو خروج من الأنانية وثقة كاملة فى رعاية الله، الذى يبارك المعطى ببركات لا تحصى. أنظر إلى المرأة التى أعطت الفلسين وكم مدحها المسيح ربنا أكثر من كل من أعطوا من الأغنياء، فالعطاء من الأعواز هو فخر كل العطايا.*

(٣) وصايا للتعامل مع الآخرين (ع١٣-٢٠):

١٣ إحذر لنفسك يا بنى من كل زنى ولا تتجاوز امرأتك مستبيحًا معرفة الاثم أبدًا. ١٤ ولا تدع الكبر يستولى على أفكارك أو أقوالك لأن الكبر مبدأ كل هلاك. ١٥ وكل من خدمك بشئ فأوفه أجرته لساعته وأجرة أجيرك لا تبقى عندك ابدًا. ١٦ كل ما تكره أن يفعله غيرك بك فإياك أن تفعله أنت بغيرك. ١٧ كُل خبزك مع الجياع والمساكين واكس العراة من ثيابك. ١٨ ضع خبزك وخمرك على مدفن البار ولا تأكل ولا تشرب منهما مع الخطاة. ١٩ إلتمس مشورة الحكيم دائمًا. ٢٠ وبارك الله فى كل حين واسترشده لتقويم سبلك وأقرار كل مشوراتك فيه.

ع١٣: ثم حذره من خطيتين عظيمتين، الأولى خطية الزنى، فيكتفى بعلاقته بامرأته، فليس له عذر أن ينظر، أو يفكر، أو يشتهى امرأة أخرى؛ لأن فى هذا طمعاً واستباحة للخطية. وحذره من أن يجرى وراء أية معرفة جديدة للخطية بكل صورها الفاسدة.

ع١٤: والخطية الثانية التى حذره منها، هى خطية الكبرياء، سواء كانت بالأقوال، أو حتى فى الفكر فقط؛ لأن الكبرياء وراء كل الخطايا، وهو الدافع الرئيسى لخطية الزنى، فالمتكبر يتخلى عن تدقيقه؛ فيسقط فى الزنى، فى حين أن الله يحرس المتضعين من الزنى وكافة الخطايا.

ع١٥: ثم يكمل الأب بمجموعة من الوصايا، أولها أن يوفى الأجير أجره فى الحال، وهذا تطبيق لوصية الأمانة والرحمة، فإن لم يكن الأجير محتاجًا لما عمل، لذا فتأخير الأجرة هو استغلال لمال الغير دون وجه حق ويعد سرقةً وطمعاً.

ع١٦: ثم وضع له مبدأً فى كل معاملاته مع الآخرين، أن ما يكره أن يفعله الناس معه، فلا يفعله هو مع أحد. وقد تم اقتباس هذه الآية وآيات أخرى كثيرة فى العهد الجديد.

ع١٧: ثم يؤكد على الصدقة مرة أخرى ولكن من مفهوم آخر؛ فالصدقة ليست فقط أن يكسو العريان، بل وأيضًا أن يأكل مع الفقراء مما يتصدق به عليهم، فى شركة محبة، سواء فى زيارة لهم، أو فى مناسبات العزاء. فيبدو أنه كان شائعًا قديمًا – كما الآن أيضًا – تقديم صدقات عن أرواح المنتقلين، تعطى للفقراء والمحتاجين، فأوصاه أن يأكل مع الفقراء ولكن لا يختلط ولا يأكل مع الأشرار من هذه الأطعمة.

ع١٨: وقد تكلم بروح النبوة عن ذبيحة العهد الجديد، أى الخبز والخمر، الموضوعين على المذبح، الذى يرمز لقبر المسيح البار؛ فيتحولا لجسد الرب ودمه الأقدسين، فيأكل منهما كل الجياع والعطاش إلى البر ولا يأكل منهما الخطاة غير التائبين.

وقد كانت شريعة العهد القديم تمنع الاقتراب، أو لمس القبور فطوبيا هنا يتكلم بروح النبوة عن بركة أجساد القديسين فى العهد الجديد. أما المعنى المباشر لهذه الآية فى العهد القديم، فهو توزيع الصدقات (الخبز والخمر) على اسم البار الذى مات، ليأكل منها المحتاجون.

ع١٩، ٢٠: ثم يطالبه بالتلمذة الروحية على أيدى الحكماء؛ ليسمع مشورة الله من أفواههم، ثم يدعوه للاتضاع وطلب مشورة الله فى كل أموره، فيبارك ويشكر الله الذى يرشده ويرعاه.

(٤) إسترداد الدين من غابيلوس (ع٢١-٢٣):

٢١ ثم اعلم يا بنى أنى قد اعطيت وأنت صغير عشرة قناطير من الفضة لغابيلوس فى راجيس مدينة الماديين ومعى بها صك. ٢٢ وحيث ذلك فانظر كيف تتوصل إليه فتقبض منه الزنة المذكورة من الفضة وترد عليه صكه. ٢٣ ولا تخف يا ولدى فإنا نعيش عيشة الفقراء ولكن سيكون لنا خير كثير إذا أتقينا الله وابتعدنا عن كل خطيئة وفعلنا خيرًا.

ع٢١، ٢٢: وفى النهاية أوصى ابنه وصية مادية، فبالرغم أن الاب كان متجردًا ناسكًا؛ يقبل الفقر برضى ولكنه – بحنان الأبوة – أشفق على ابنه، فأراد أن يوفر له بعض الراحة المادية؛ فأوصـــاه باسترداد الفضة، التى كان قد أقرضها لغابيلوس ولديه منـــه صك بذلك (طو١: ١٧).

وكانت الصكوك تُكتب قديمًا على قطعة من الجلد، أو من الطين، ثم تُحرق؛ ليثبت الطين ويصير جافًا وقويًا. وكانت طريقة كتابة الصكوك بنوعين :

١- يكتب صكين متشابهين يأخذ كل من الدائن والمدين نسخة منه.

٢- يكتب صك واحد ويقسم إلى نصفين يأخذ كلاً من الدائن والمدين جزءً من الصك وهذا ما حدث فى سفر طوبيا بحسب النص المطول فى الأصحاح الخامس.

وقد ورد ذكر الصكوك فى العهد القديم مع أرميا (أر٣٢: ٩-١٤) وفى العهد الجديد فى مثل وكيل الظلم (لو١٦).

ع٢٣: ثم طمأن ابنه بأن أولاد الله وإن كانوا يعيشون فى فقر ولكن ينتظرهم خيرًا فى الأبدية، بشرط تجنبهم الخطية واهتمامهم بفعل الخير.

الأَصْحَاحُ الخَامِسُ

مقابلة الملاك وسفره مع طوبيا الإبن

⁂

(١) لقاء طوبيا الإبن بملاك الله (ع١-٩):

١ فأجاب طوبيا أباه وقال يا أبت كل ما أمرتنى به أفعله. ٢ وأما هذا المال فما أدرى كيف أحصله فإن الرجل لا يعرفنى وأنا لا أعرفه فما العلامة التى أعطيها له بل الطريق التى تؤدى إلى هناك لا أعرفها أيضًا. ٣ فأجابه أبوه وقال إن عندى صكه فإذا عرضته عليه فإنه يؤدى عاجلاً. ٤ والآن هلم فالتمس لك رجلاً ثقة يصحبك بأجرته حتى تستوفى المال وأنا حى. ٥ فبينما خرج طوبيا إذ بفتى بهى قد وقف مشمرًا كأنه متأهب للمسير. ٦ فسلم عليه وهو يجهل أنه ملاك الله وقال من أين أقبلت يا فتى الخير. ٧ قال أنا من بنى إسرائيل فقال له طوبيا هل تعرف الطريق الآخذة إلى بلاد الماديين. ٨ قال أعرفها وقد سلكت جميع طرقها مرارًا كثيرة وكنت نازلاً بأخينا غابيلوس المقيم براجيس مدينة الماديين التى فى جبل أحمتا. ٩ فقال له طوبيا أنتظرنى حتى أخبر أبى بهذا.

ع١: يتميز طوبيا الابن بفضيلة الطاعة السريعة الكاملة.

وكما يذكر لنا النص المطول أنه قد مر على كتابة هذا الصك عشرون عامًا وأن هذا الصك كُتب عندما كان طوبيا الابن طفلاً، أى أن طوبيا الابن الآن فى سن العشرينات.

وهو يرمز للمسيح الذى أطاع الآب بتجسده وفدائه حين قال "لأنى قد نزلت من السماء ليس لأعمل مشيئتى بل مشيئة الذى أرسلنى" (يو٦: ٣٨).

ع٢: ولكن لصغر سنه وقلة خبرته فى المعاملات المالية، وجد أمامه مشكلتين طلب لهما حلاً من أبيه، وهذا يظهر اتضاعه واهتمامه بطلب المشورة. وأول مشكلة، هى كيف سيعطيه غابيلوس المال وهو لا يعرفه ؟ وثانى مشكلة، هى عدم معرفته بالطريق إلى مدينة راجيس.

✝ *طوبيا الابن يرمز لأولاد الله فى صلاتهم وطلبهم لمشورة الله وطوبيا الأب يرمز لله، الذى يرشد أولاده ويحل مشاكلهم.*

ع٣: فأرشده طوبيا الاب وأوضح له أن الصك ورقة مالية كافية لتعريف غابيلوس بشخصه وتضمنه عنده؛ فيعطيه المال.

ع٤: أما بالنسبة للطريق إلى راجيس، فقد عرض على ابنه أن يبحث له عن رجل موثوق به، يعرف الطريق، يكون مرشدًا له ويصحبه إليها وينال أجرته. وقد كانت هذه هى الطريقة المتبعة للإرشاد فى السفر، فى زمن لم تكن الطرق فيه ممهدة، أو بها علامات للإرشاد، كما هو الحال الآن. وتمنى طوبيا الأب أن يتم هذا سريعًا؛ ليسافر الابن ويعود فى حياة الأدب؛ ليطمئن عليه، إذ كان يشعر بقرب موته.

ع٥، ٦: خرج طوبيا الابن؛ لينفذ كلام أبيه، فى البحث عن رجل يرشده، فى الطريق إلى راجيس، وحيث أن صلاة طوبيا الأب استجيبت، فلم يتعب الابن، إذ فور خروجه، وجد شابًا يبدو البهاء على وجهه ومستعدًا للمسير والسفر، فسلم عليه وسأل عن جنسه.

ع٧: فأعلمه أنه من بنى إسرائيل، أى من شعب الله، فاطمأن طوبيا أنه من جنسه، فسأله هل يعرف الطريق إلى بلاد الماديين ؟

ع٨: فعرفه أنه سلك كل الطرق إليها، بل أكثر من هذا، أعلمه أنه كان عند غابيلوس المقيم بمدينة راجيس مدينة الماديين، التى فى جبل أحمتا (أنظر خريطة ٢ صـــ٢٦٥).

ع٩: ففرح طوبيا جدًا، إذ وجد علامات كافية تجعله يثق فى هذا الفتى. فهو يهودى ويعرف كل طرق الماديين، بل ويعرف غابيلوس نفسه، الذى يريد طوبيا أن يذهب إليه ولم

يعلم طوبيا أن هذا هو ملاك الله رافائيل. وقوله أنه من شعب الله، كان يعنى أنه من المقربين لله ويعرف كل طرق السفر ويعرف غابيلوس ويحل فى بيته وفى كل بيوت أولاد الله. ثم استأذن الشاب؛ ليبشر والده، بأنه قد وجد المرشد المطلوب للطريق.

✝ *الصلاة النابعة من قلب المؤمن بالله والذى اجتاز التجربة بصبر واحتمال، تصل سريعًا إلى السماء وتُستجاب فى الحال، بل وتفوق ما يطلبه الإنسان أو يفتكر به. فلم يرسل الله رجلاً يرشد طوبيا إلى مدينة راجيس، بل أرسل ملاكًا وليس ملاكًا فقط، بل رئيس الملائكة رافائيل؛ ليرشده ويصحبه ويفيض عليه ببركات كثيرة من الله. إن الصلاة باب مفتوح لنا كل يوم؛ لنتحدث مع الله ونشعر بوجوده أمامنا وجهًا لوجه ونختبر عمله ورعايته، فى تفاصيل حياتنا اليومية.*

(٢) لقاء طوبيا الأب مع الملاك (ع١٠-٢٢):

١٠ ودخل طوبيا وأخبر أباه بجميع ذلك فتعجب أبوه وطلب أن يدخل عليه. ١١ فدخل وسلم عليه وقال ليكن لك فرح دائم. ١٢ فأجاب طوبيا وأى فرح يكون لى أنا المقيم فى الظلام لا أبصر ضوء السماء. ١٣ فقال له الفتى كن طيب القلب فإنك عن قليل تنال البرء من لدن الله. ١٤ فقال له طوبيا هل لك أن تبلغ ابنى إلى غابيلوس فى راجيس مدينة الماديين وأنا أوفيك أجرتك متى رجعت. ١٥ فقال له الملاك آخذه وأعود به إليك. ١٦ فقال له طوبيا أخبرنى من أى عشيرة ومن أى سبط أنت. ١٧ فقال له رافائيل الملاك أفى نسب الأجير حاجتك أم فى الأجير الذى يذهب مع ابنك. ١٨ ولكن لكى لا أقلق بالك أنا عزريا بن حننيا العظيم. ١٩ فقال له طوبيا إنك من نسب كريم غير أنى أرجو أن لا يسوءك كونى طلبت معرفة نسبك. ٢٠ فقال له الملاك هأنذا آخذ ابنك سالمًا وسأعود به إليك سالمًا. ٢١ قال طوبيا أنطلقا بسلام وليكن الله فى طريقكما وملاكه يرافقكما. ٢٢ حينئذ أخذ كل ما أراد أخذه من أهبة الطريق وودع طوبيا أباه وأمه وسارا كلاهما معًا.

ع١٠: عندما علم طوبيا الأب بما حدث مع ابنه، فرح وتعجب؛ لسرعة استجابة الله لصلاته وإرساله المرشد لابنه، وطلب أن يدخل المرشد إليه.

ع١١: وقد دخل الشاب وحياه وطلب له نعمة الله، التى يفيض بها على أولاده وتميزهم عن غيرهم، وهى الفرح الدائم.

وتبشير الملاك رافائيل لطوبيا بالفرح الدائم يرمز لتبشير الملاك للرعاة بالفرح العظيم (لو٢: ١٠، ١١).

ع١٢: ولضيقة طوبيا الأب قال : كيف يكون لى الفرح الدائم وأنا أعمى ؟!

ع١٣: **البرء** : الشفاء.

لدن : عند.

فطيب الملاك قلبه وأنبأه بقرب شفائه من مرضه، وهكذا أكد الرجاء فى قلب طوبيا الأب؛ بنهاية ضيقته ولكن ليس بالموت، إنما بالشفاء.

✝ *وهكذا قد يكون الحل الإلهى بعيدًا عن ذهننا ولكنه أفضل من الحل البشرى ويتمتع به كل من له رجاء وإيمان بالله.*

ع١٤، ١٥: طلب طوبيا الأب من الشاب، أن يصحب ابنه إلى راجيس ويأخذ أجرته متى عاد، فوافق.

ع١٦: ولأجل أن يطمئن الأب، فقد سأل الشاب عن نسبه.

ع١٧، ١٨: **عزريا** : اسم عبرى معناه الله مساعد.

حنانيا : اسم عبرى معناه الله حنان.

فرد عليه بأنه لا حاجة لمعرفة نسب الأجير ولكن حتى يطمئن قلبه، فهو عزريا بن حنانيا العظيم. ويبدو أن عشيرة حنانيا كانت عشيرة معروفة عند اليهود؛ فاطمأن الأب.

لم يكذب الملاك رافائيل هنا بل أضفى شخصيته من أجل إتمام التدبير الإلهى وقد استخدم اسمان من باب الاستعارة للدلالة على المهمة المكلف بها فهو "المساعد" المرسل من الله "الحنان".

ع١٩، ٢٠: وقد اعتذر طوبيا لسؤاله هذا، فطمأنه الملاك أن ابنه سيعود سالمًا.

✝ *الله بحنانه يساعدنا وينقذنا من ضيقاتنا فقد أرسل رئيس ملائكته لمساعدة أحد أبنائه هكذا أنت أيضاً محاط بملائكة وقديسين فلا تخف ولا تضطرب بل أطلب مساعدتهم ومعونتهم دائماً.*

ع٢١: **أهبة الطريق** : استعدادات السفر.

ودع طوبيا الأب ابنه والشاب عزريا بالسلام، وتمنى لهما أن يحفظهما الله فى الطريق ويرافقهما ملاكه.

✝ *ليس أفضل من معية الله فى برية هذا العالم، حتى نصل إلى هدفنا وهو الأبدية السعيدة.*

ع٢٢: وأخذ طوبيا الابن كل ما يحتاجه من استعدادات السفر، من أطعمة وملابس وكل الاحتياجات وهى ترمز للأسلحة الروحية، التى يحتاجها المجاهد الروحى فى طريق جهاده؛ ليصل إلى الملكوت، وودع طوبيا والديه وبدأ السفر مع رفيقه عزريا.

ونتوقع أن طوبيا الابن أخذ استعدادات بسيطة للسفر؛ لأنه كان فقيرًا وهو هنا يرمز للمسيح، الذى أخذ فقرنا وعوزنا وتجسد مولودًا فى المزود؛ ليتزوج بكنيسته على الصليب ويرفعها بقيامته ويغنيها ببركاته الجزيلة.

(٣) مشاعر الأم بعد غياب ولدها وطمأنة طوبيا الأب لها (ع٢٣-٢٨):

٢٣ فلما فصلا جعلت أمه تبكى وتقول قد أخذت عكازة شيخوختنا وابعدتها عنا. ٢٤ لا كان هذا المال الذى أرسلته لأجله. ٢٥ لقد كان فى رزقنا القليل ما يكفى لأن نعد النظر إلى ولدنا غنى عظيمًا. ٢٦ فقال لها طوبيا لا تبكى إن ولدنا سيصل سالمًا ويعود إلينا سالمًا وعيناك تبصرانه. ٢٧ فإنى واثق بأن ملاك الله الصالح يصحبه ويدبره فى جميع أحواله حتى يرجع إلينا بفرح. ٢٨ فكفت أمه عن البكاء عند هذا الكلام وسكتت.

ع٢٣: **فصلا** : أى انفصلا والمقصود رحلا، أو اختفيا عن أعينهما.

وبعد أن غاب طوبيا ورفيقه عن عينى الأم حنة، تحركت عواطفها، معبرة فى بكاء كثير، لإحساسها بفقدان ولدها وقلقها ألا تراه ثانية وحاجتها له هى وأبوه؛ لكبر سنهما، إذ كان سن طوبيا الأب كان قد اقترب من الستين.

ع٢٤: وأعلنت الأم عدم أهمية المال، الذى سيحصل عليه ابنها من غابيلوس.

ع٢٥: بل وأظهرت أن تمتعها برؤية ابنها أمامها، هو الغنى العظيم، الذى يعوضها عن فقرها.

ويرمز طوبيا الأب إلى الآب الذى أرسل ابنه الوحيد إلى العالم (يرمز إليه طوبيا الإبن) ليسترد المال المفقود (أى الإنسان الذى فقد بالخطية وحكم عليه بالموت).

✝ *ما أحوج الأسرة المسيحية الآن، أن تشعر بأهمية المحبة والود بين أعضائها وأن تمتعهم بشركة واحدة فى المسيح يسوع أفضل من كل ماديات العالم وشهواته، فيتمسكون بعلاقاتهم بعضهم مع بعض، فى صداقة وود، غير مكترثين بما ينقصهم من ماديات العالم، التى توجد عند غيرهم، فالمحبة حقًا هى غنى أفضل من كل مباهج العالم.*

ع٢٦-٢٨: أما الأب طوبيا الذى يتمتع بإيمان قوى، فشعر بعاطفة الأمومة وقلقها، لذا طمأنها، بأن ابنها سيعود سالما وسيحفظه ملاك الرب، حتى يرجع فرحًا. وطلب منها أن تكف عن البكاء، فكفت عن البكاء.

وحين طلب طوبيا الأب أن يرسل الله ملاكه ويرافق ابنه ويرشده، نجد استجابة سريعة من الله، الذى جعل مرشده هو رئيس ملائكة وليس ملاكًا فقط. فما أعظم محبة الله ورعايته لأولاده.

الأَصْحَاحُ السَّادِسُ

رحلة طوبيا والملاك إلى راجيس

⁂

(١) قتل السمكة الكبيرة وفائدة أعضائها (ع١-٩):

١ وسافر طوبيا والكلب يتبعه فبات أول منزلة بجانب نهر دجلة. ٢ وخرج ليغسل رجليه فإذا بحوت عظيم قد خرج ليفترسه. ٣ فارتاع طوبيا وصرخ بصوت عظيم قائلاً يا مولاى قد اقتحمنى. ٤ فقال له الملاك أمسك بخيشومه واجتذبه إليك ففعل كذلك واجتذبه إلى اليبس فأخذ يختبط عند رجليه. ٥ فقال له الملاك شق جوف الحوت واحتفظ بقلبه ومرارته وكبده فإن لك بها منفعة لعلاج مفيد. ٦ ففعل كذلك ثم شوى من لحمه فأخذا للطريق وملحا سائره حتى يكون لهما ما يكفيهما إلى أن يبلغا راجيس مدينة الماديين. ٧ ثم إن طوبيا سأل الملاك وقال له نشدتك يا أخى عزريا أن تخبرنى ما العلاج الذى يؤخذ من هذه الأشياء التى أمرتنى أن أذخرها من الحوت. ٨ فأجابه الملاك قائلاً إذا ألقيت شيئًا من قلبه على الجمر فدخانه يطرد كل جنس من الشياطين فى رجل كان أو إمرأة بحيث لا يعود يقربهما أبدًا. ٩ والمرارة تنفع لمسح العيون التى عليها غشاء فتبرأ.

ع١: **منزلة** : ليلة، أو مبيت، أو استراحة.

وبدأ طوبيا والملاك رحلتهما من مدينة نينوى، التى على نهر دجلة بمحاذاة النهر (أنظر ص١: ١٦، خريطة ٢ صـــ٢٦٥) وبعد أن أمسى الليل عليهما، باتا أول ليلة بجوار النهر، وكلب طوبيا معهما، الذى يشير إلى صداقة الإنسان مع الحيوان، كما كان قديمًا فى جنة عدن، حيث كانت هناك صداقة كاملة بين الإنسان وكل الحيوانات. وطوبيا يرمز للمسيح المحب لكل الخليقة وتحوطه الملائكة على الدوام.

وتبعية الكلب لطوبيا ترمز لخلاص المسيح المقدم لليهود والأمم؛ لأن الأمم فى نظر اليهود كلاب، كما عبر عن ذلك المسيح فى قصة المرأة الكنعانية (مت١٥: ٢١-٢٨).

فطوبيا الذى يرمز للمسيح تزوج بسارة اليهودية، التى ترمز للكنيسة والكلب أيضًا تبعه، ثم سنرى فيما بعد (ص١١: ٩) كيف أن الكلب كان مبشرًا لطوبيا الأب وزوجته برجوع ابنهما، الذى يرمز للمسيح الفادى، كما بشر المجوس هيرودس والأمم فى بلادهم بميلاد

المخلص (مت٢). وأول نزول لطوبيا كان بجوار نهر دجلة وهذا النزول يرمز للمعمودية؛ لأنها المدخل الأول للكنيسة.

ع٢: وفى الصباح أراد طوبيا أن يغتسل فى النهر، فدخل قليلاً فى مائه وفوجئ بسمكة كبيرة تهجم عليه.

ونــزول طوبيا ليغسل رجليه يرمز للمسيح ممثل البشرية، الذى حمل خطايانا واغتسل عنا فى مياه الأردن، وكذلك غسل أرجل تلاميذه، رمزًا لغسلهم من أقذار الخطية بفدائه.

ع٣: صرخ طوبيا مستنجدًا برفيقه عزريا، مناديًا إياه مولاى – أى سيدى والمولى على قيادتى وحراستى – فإن الوحش، أو السمكة الكبيرة قد هجمت علىَّ.

ع٤: فأرشده الملاك بأن يمسك بخياشيم السمكة ويشدها إلى خارج النهر، فلن تستطع أن تــؤذيه. فكمــا نعلم أن السمك يتنفس بخياشيمه، فعندما أمسك السمكة من خياشيمها وجذبها للــشاطئ، فقد أوقف تنفسها؛ إذ أنها تتنفس الهواء المذاب فى الماء؛ فبدأت تختنق وظهر ذلك فى تخبط ذيلها على أرض الشاطئ، عند قدمى طوبيا، حتى ماتت.

الــوحش الــذى هجم على طوبيا، يرمز للضيقة التى تهاجم أولاد الله، ولكن بطاعة الله (ملاكــه) والجهــاد الروحى (إمساك السمكة من خياشيمها وجذبها للشاطئ) يتغلب الإنسان الروحى على الضيقة، فلا تؤذيه، بل يحولها الله إلى بركة فى حياته، كما سترى.

والسمكة الكبيرة، أى الحوت، تشير إلى الشيطان عدونا، الذى يجول ملتمسًا من يبتلعه وقد هاجم طوبيا، الذى يرمز لكل إنسان مؤمن بالله. وإذ اجتذبه طوبيا خارج البحر، الذى يشير إلى العالم وكل مادياته كاد يختنق؛ لأن قوة إبليس هى فى أغرائنا بشهوات العالم ومادياته. لذا فبالتجرد والنسك يفقد إبليس قوته وسلطانه علينا وبطاعة الله ووصاياه، التى يمثلها هنا إرشاد الملاك لطوبيا، يسقط الشيطان صريعًا عند أقدامنا.

وكما نزل طوبيا إلى البحر، هكذا نزل المسيح بتجسده إلى العالم. وكما هجم الوحش على طوبيا، فقيده من خياشيمه، وخرج حيًا من البحر ظافرًا به، وقد عاونه الملاك، هكذا

عندما صلى المسيح فى بستان جثيمانى، أتاه ملاك ليقويه، وبموت الصليب داس الموت، وقهر الشيطان، وقام حيًا فى اليوم الثالث.

ع٥: ثم قال الملاك لطوبيا أن يشق جوف الحوت، أى السمكة الكبيرة ويخرج منها قلبها ومرارتها وكبدها، فهى مفيدة.

وشــق الحــوت أى السمكة الكبيرة يرمز لطعن المسيح فى جنبه، فخرج منه دم وماء أعطى خلاصًا للبشرية. وكذلك أخرج طوبيا – عند شقه للحوت – الكبد والمرارة وبهما قيد الــشيطان وأعطى شفاءً لعينى أبيه. والكبد والقلب اللذان أخرجهما طوبيا، أحرقهما فيما بعد عند زواجه من سارة (ص٨: ٢) فقيد الشيطان وأبعده عنهما. كذلك فى الذبائح الموسوية كان الكبد يحرق على المذبح (لا٣: ٥) رمزًا لموت المسيح على الصليب؛ فيقيد الشيطان.

ع٦: أما لحم السمكة، فشوى منه جزءاً، ليأكلا منه فى نفس اليوم، أو ما يليه وباقى لحم السمكة ملحه، ليعيش مدة طويلة ويقتاتا به طوال الرحلة، حتى يصلا إلى راجيس.

اللحــم المشوى للسمكة وتمليح الباقى يرمز لذبيحة السلامة (لا٧: ١٥-١٩) التى كان يحــرق جزء منها على المذبح والتى أيضًا كان يملح لحمها ويأكل منه مقدمها وترمز أيضًا لذبيحة المسيح على المذبح، التى نأكلها جسدًا ودمًا، فهى ذبيحة ليس لها علاقة بحمل الخطية ولكنها غذاء لأولاد الله.

✝ *وهكذا تظهر بركات الضيقة فى الاستفادة من السمكة بصور شتى، أولها أكل لحمها، ليس فقــط فــى نفس اليوم، بل لمدة طويلة، فإن كانت الضيقة وقتية، فإن بركاتها تمتد لأوقات كثيرة فى حياة الإنسان. وكما أن الملح يحفظ لحم السمكة، كذلك الألم والتعب (أى المذاق المالح) فهو يحفظ حياة الإنسان من خطايا كثيرة وكما يقول الكتاب "من تألم فى الجسد كف عن الخطية" (١بط٤: ١).*

ع٧-٩: سأل طوبيا الملاك عن أعضاء السمكة التى طلب منه أن يحتفظ بها، فقال له أن القلب إذا أحرق بالنار، فدخانه يبطل كل قوة الشياطين والمرارة تنفع لشفاء العيون.

وقــد قال الملاك نفس المعنى عن كبد الحوت، أى السمكة فى نفس الإصحاح (ع١٩) ومن أجل طاعة طوبيا، تقيد الشيطان فعلاً. فمفعول هذه الأعضاء لم يكن لقوة كامنة فيها، بل بسبب عمل الله فيها من أجل طاعة أولاده.

حــرق الكــبد والقلــب يرمــز لموت المسيح، فكما بحرقهما وصعود دخانهما تم طرد الشياطين، كذلك بموت المسيح على الصليب صعدت ذبيحته رائحة بخور ذكية وقيد الشيطان.

أمــا المــرارة فهى تفرز كعصارة فى الجسم، تساعد على هضم المواد الغذائية حتى لا يمــرض الكــائن الحى. فهى ترمز للدواء، لذلك استخدمها الله لعلاج مرض العينين. وتشير أيضًا المرارة إلى التجارب، التى تبرئ النفس من خطاياها وتزكيها أمام الله.

وقد حمل المسيح مرارة خطايانا على الصليب، وقد أشارت إليها هدايا المجوس التى منها المــر. وشرب المر واحتمل الآلام، حتى يعطينا – باحتماله هذه المرارة – فداء وشفاء من خطايانا، كما أبرأت المرارة عين طوبيا الأب.

وطــبعًا هــذه المعانى الروحية التى يقدمها الوحى، تختلف تمامًا عن التعويذات وأعمال السحر، التى يحاول فيها الشيطان أن يقلد أعمال الله، مدعيًا على أيدى السحرة والدجالين، أنه يعالج أمراض ومشاكل الناس.

(٢) نصيحة الملاك لطوبيا بالزواج من سارة (ع١٠-١٣):

١٠ وقال طوبيا أين تريد أن نزل. ١١ فقال الملاك إن هنا رجلا إسمه رعوئيل من ذوى قرابتك من سبطك وله بنت اسمها سارة وليس له من ذكر ولا أنثى سواها. ١٢ فجميع ماله مستحق لك ولابد لك ان تتخذها زوجة. ١٣ فاخطبها إلى أبيها فإنه يزوجها منك.

ع١٠: أخيرًا وصل طوبيا والملاك إلى منطقة راجيس (أنظر خريطة ٢ صــ٢٠)، إلى مدينة صغيرة قريبة من مدينة راجيس، بعد سفر طويل، دام أيامًا كثيرة، فسأل طوبيا الملاك، أى الشاب عزريا، فهو مازال لا يعرف حتى الآن أنه ملاك الرب، لكنه قائد الرحلة والمرشد له واستفهم منه، أين سيمكثان فى هذه المدينة ؟

ع١١: فأشار عزريا إلى بيت رعوئيل والد سارة، فهو يهودى من المسبيين المنقولين إلى راجيس، بل هو من سبط نفتالى وقريب لطوبيا.

وكلمـــة رعوئيل معناها صديق الله وهو يرمز ليوحنا المعمدان، الذى قال عن نفسه أنه صديق العريس (يو٣: ٢٩) وفرح برؤية المسيح عريس ومخلص البشرية، كما فرح رعوئيل برؤية طوبيا وزواجه من ابنته.

ع١٢، ١٣: وقد كان رعوئيل رجلاً غنيًا وليس له إلا ابنة وحيدة، أرشد عزريا طوبيا أن يخطبها وأعلمه أن رعوئيل سيقبل، فينال بركة الزواج من فتاة تقية ويحصل أيضًا على أموالٍ كثيرة.

والمـــلاك رافائيل هنا – وهو يختار سارة زوجة لطوبيا – يشبه ألعازر الدمشقى، الذى أحضر رفقة لتكون زوجة لإسحق (تك٢٤)

وغنى سارة يشير للبركات الروحية، التى يفيض بها الله على أولاده الأتقياء. ففى العهد القـــديم، كان الله يعبر عن بركاته بشكل مادى، حسب مفهوم الشعب فى هذا الوقت، أما فى العهـــد الجديد، بعد استعلان معرفة الله، فلم نعد بحاجة للبركات المادية، تعبيرًا عن البركات الروحية، وإن كان الله يعطيها لمن يحتاجها، إذا ما كان فى هذا خيرًا له.

رئـــيس الملائكـــة هـــنا يرمز للروح القدس فى تزويجه طوبيا لسارة، كما يقوم بتزويج الكنيـــسة للمسيح فاديها، فتصير عروسًا له إلى الأبد وكما عمل بألعازر الدمشقى فى تزويج رفقـــة لإســـحق (تك٢٤)، خاصة وأن اسم كليهما له معنى جميل، فعزريا، الذى هو الملاك رافائيل، معنى اسمه الله مساعد وألعازر معنى اسمه الله يعين.

والملاك رافائيل أيضًا يرمز ليوحنا المعمدان، الذى مهد الطريق للمسيح؛ ليفدى عروسه الكنيسة.

(٣) الرد على مخاوف طوبيا (ع١٤-٢٢):

١٤ فأجاب طوبيا وقال إنى سمعت أنه قد عقد لها على سبعة أزواج فماتوا وقد سمعت أيضًا أن الشيطان قتلهم. ١٥ فلأجل هذا أخاف أن يصيبنى مثل ذلك وأنا وحيد لأبوى فأنزل شيخوختهما إلى

الجحيم بالحزن. ١٦ فقال له الملاك رافائيل استمع فأخبرك من هم الذين يستطيع الشيطان أن يقوى عليهم. ١٧ إن الذين يتزوجون فينفون الله من قلوبهم ويتفرغون لشهوتهم كالفرس والبغل اللذين لافهم لهما أولئك للشيطان عليهم سلطان. ١٨ فأنت إذا تزوجتها ودخلت المخدع فأمسك عنها ثلاثة أيام ولا تتفرغ معها إلا للصلوات. ١٩ وفى تلك الليلة إذا أحرقت كبد الحوت ينهزم الشيطان. ٢٠ وفى الليلة الثانية تكون مقبولاً فى شركة الآباء القديسين. ٢١ وفى الليلة الثالثة تنال البركة حتى يولد لكما بنون سالمون. ٢٢ وبعد انقضاء الليلة الثالثة تتخذ البكر بخوف الرب وأنت راغب فى البنين أكثر من الشهوة لكى تنال بركة ذرية إبراهيم فى بنيك.

ع١٤، ١٥: حيث أن سارة من أقرباء طوبيا، بالإضافة إلى أن طوبيا الأب كان يطوف بلاد الامبراطورية المختلفة؛ ليساعد اليهود المحتاجين، فقد بلغ طوبيا الابن خبر زواج سارة من سبعة أزواج وقتل الشـــيطان لكل منهم فى ليلة الزواج. وقد قال المسيح عن الشيطان أنه قتالٌ منذ البدء (يو٨: ٤٤) وأعلن طوبيا للملاك خوفه أن يقتل هو أيضًا وهو وحيد أبويه؛ فيحزنا عليه طوال عمريهما.

ع١٦، ١٧: **ينفون** : من النفى، أى يبعدون ويهملون.

وهنا وضح الملاك لطوبيا حقيقة هامة، وهى أن الشيطان له قوة فقط على الذين يتزوجون بغرض الشهوة فحسب، وهم بعيدون كل البعد بذلك عن الله، فهم يشبهون الحيوانات، التى تتزاوج للغريزة فقط ولا روح فيها يحب الله ومن أجله يعمل كل شئ.

ع١٨: ولكيما يكون طوبيا سالمًا إذا تزوج سارة، أوصاه رئيس الملائكة رافائيل، بأن يبتعد عن العلاقة الجسدية، إذا دخل إليها فى المخدع، فى ليلة الزواج، بل ليصليا الثلاثة أيام الأولى ويعيشا معًا فى محبة روحية.

ع١٩: وفى الليلة الأولى، يحرق كبد الحوت (غير موجود بالآية، بل ذكر سابقًا طو٦: ٨) وهذا يرمز لفداء المسيح، كما ذكرنا، فينهزم الشيطان، ويقيد فلا يقترب إليهما، إذ بتعففهما وصلواتهما يدللان على أن غرضيهما من الزواج لم يكن سوى محبتهما لبعضهما فى الله.

ع٢٠: وفى الليلة الثانية، ينالا بركة شركتهما مع القديسين، وهذا يشير إلى العضوية الكنسية وتكوين أسرة جديدة فى جسد المسيح، أى الكنيسة.

ع٢١: وفى الليلة الثالثة، ينالا بركة الأبوة والأمومة؛ ليوهبا أبناءً سالمين.

ع٢٢: وبعد الليلة الثالثة، يرتبطان فى علاقة جسدية كأبناء لله، يحيان فى مخافته وفى محبة بعضهما لبعض، فهذه العلاقة ليست مجرد شهوة جسدية، فتكون معهما بركة الآباء القديسين، الذين يمثلهم إبراهيم أب الآباء.

واستنادًا على هذا النص الكتابى، رتبت الكنيسة فى طقسها، أن يربط الزوجان يوم الإكليل بزنار (شريط قماش) أحمر معقود بشكل صليب، يشير إلى اتحادهما معًا فى المسيح بسر الزيجة، الذى هو من بركات دم المسيح الفادى (اللون الأحمر). وبعد ثلاثة أيام من اتحادهما فى سر الزيجة، وبعد رفع صلوات شكر طوال ثلاثة أيام، يُتمم لهما طقس حل الزنار، أى بعد ثباتهما فى المسيح، الذى أعطاهما هذا السر بموته على الصليب واتحدا معًا باتحاد سامى، تموت فيه الشهوة الجسدية المجردة مع موت المسيح. وفى اليوم الثالث، أى يوم قيامة المسيح، يُحل الزنار، فيبدأ الزوجان حياة جديدة، يمارسان فيها علاقتهما الجسدية، بمفهوم جديد، فهى ليست مجرد شهوة جسدية، بل تعبير عن اتحادهما معًا فى المسيح وبمحبة باذلة بعضهما لبعض.

الأَصْحَاحُ السَّابِعُ

زواج طوبيا من سارة

⁂

(١) طلب طوبيا الزواج من سارة (ع١-١٤):

١ ثم دخلا على رعوئيل فتلقاهما رعوئيل بالمسرة. ٢ وإذ نظر رعوئيل إلى طوبيا قال لحنة زوجته مـــا أشبه هذا الرجل بذى قرابتى. ٣ وبعد هذا الكلام قال رعوئيل من أين أنتما أيها الأخوان الفتيان فقـــالا لـــه من سبط نفتالى من جلاء نينوى. ٤ فقال لهما رعوئيل هل تعرفان طوبيا أخى فقالا نعرفه. ٥ فلمـــا أكثر من الثناء عليه قال الملاك لرعوئيل أن طوبيا الذى أنت تسأل عنه هو أبو هذا. ٦ فألقى رعوئـــيل بنفسه وقبله بدموع وبكى على عنقه. ٧ وقال بركة لك يا بنى إنك ابن رجل صالح فاضل. ٨ وبكـــت حنة امرأته وسارة ابنتهما أيضًا. ٩ وبعد أن تحادثوا أمر رعوئيل أن يذبح كبش وتهيأ مأدبة ودعاهما أن يتكئا للغذاء. ١٠ فقال طوبيا إنى لا آكل اليوم طعامًا ههنا ولا أشرب ما لم تجبنى إلى ما أنا سائله وتعدنى أن تعطينى سارة ابنتك. ١١ فلما سمع رعوئيل هذا الكلام ارتعد لمعرفته بما اصاب السبعة الـــرجال الذين دخلوا عليها وخاف أن يصيب هذا ما أصابهم. وفيما هو متردد ولم يردد عليه جوابا. ١٢ قال له الملاك لا تخف أن تعطيها لهذا فإن ابنتك له ينبغى أن تكون زوجة لأنه يخاف الله ولذلك لم يقـــدر غـــيره أن يأخـــذها. ١٣ حينئذ قال رعوئيل لا شك أن الله قد تقبل صلواتى ودموعى أمامه. ١٤ ولعله لأجل ذلك ساقكما الله إلىّ حتى تتزوج هذه بذى قرابتها على حسب شريعة موسى والآن لا تشك أنى أعطيكها.

ع١: وصل الملاك وطوبيا إلى بيت رعوئيل ودخلا عليه، فاستقبلهما بالترحاب والفرح وهذا يدل على تمتعه بفضيلة إضافة الغرباء، وهكذا نرى بركات الله للأتقياء محبى الفضيلة، فرعوئيل بمحبته لكل الناس وإضافته للغرباء منهم، قد ربح بركة عظيمة، بحل مشكلة حياته، ألا وهى موت أزواج ابنته الوحيدة، إذ أرسل لـــه قريبه التقى طوبيا؛ ليتزوجها وينجبا نسلاً صالحًا. وهكذا كل من يسعى لاقتناء فضيلة، تقوده لفضائل أخرى وبركات وفيرة من الله، بل وأيضًا ترفع عنه ضيقاته المختلفة.

ع٢: وبــدأ الــتعارف بين أهل البيت والضيوف وقبل أن يتكلم رعوئيل معهما، لاحظ التشابه الكبير فى الشكل بين الشاب الذى أمامه وقريبه طوبيا الأب وحدث زوجته حنة همسا بهذا الكلام. وتقول النسخة المطولة للسفر أن رعوئيل هو ابن عم طوبيا الأب.

ع٣: ثم سأل رعوئيل الشابين عن أصلهما ومكان سكنهما، فقالا له أنهما من المسبيين من سبط نفتالى، الذين نقلوا إلى مدينة نينوى عاصمة أشور (أنظر خريطة ٢ صــ٢٦٥).

ع٤: فــسأل رعوئيل على الفور هل تعرفان طوبيا أخى؟ وهذا يوضح أنه لم يكن مجرد قــريبًا له من سبطه وعشيرته، بل وأيضًا محبوبًا جدًا لقلبه، بالإضافة إلى مكانة طوبيا الأب الروحية والعالمية. فأجابا أنهما يعرفانه.

ع٥: ففرح رعوئيل وبدأ يتكلم عن قريبه، الذى دعاه أخى لشدة قرابته، ويمتدح فضائله الكثيــرة وبعد كثرة الكلام عن فضائل طوبيا، قال الملاك أن طوبيا، هذا الذى تتكلم عنه، هو أبو هذا الشاب الذى أمامك، مشيرًا لطوبيا الإبن.

ع٦: فلما سمع رعوئيل أن طوبيا الشاب الذى أمامه هو ابن حبيبه طوبيا الأب وكان قد لاحــظ الــشبه بينهما فى بداية اللقاء، فرح جدًا وأسرع يحتضن طوبيا ومن فرط فرحه بكى كثيرًا.

ع٧، ٨: وكــذلك بكــت حنة وسارة كذلك وأخذ رعوئيل يمتدح طوبيا وباركه؛ لأنه ابن الرجل الصالح ذو الفضائل الكثيرة.

وطوبيا الابن يرمز للمسيح، الذى نزل إلى أرضنا (بيت رعوئيل) بتجسده، وتلقاه الأتقياء بالفرح، وهم يوسف النجار مع العذراء مريم والرعاة والمجوس. وبعد أيام كثيرة (حديث طويل) قضاها فى أرضنا؛ تم فداؤنا على الصليب، ليمحو عقوبة الموت المستحقة علينا. وهكذا اشترانا بدمه كعروس له؛ لنحيا معه حياة جديدة، مملوءة بالسلام والفرح إلى الأبد. أيضًا سارة تمثل الكنيسة المحكوم عليها بالموت، التى افتداها المسيح وصارت عروسًا له.

وطوبـــيا الابن علم مشكلة سارة وأتى ليتزوجها، فتخلص من عارها وتبدأ حياة جديدة معه. فهو فى هذا يرمز للمسيح، الذى يعلم آلامنا والموت المحكوم به علينا، فتجسد وأتى إلينا وفدانا على الصليب؛ ليخلصنا.

✝ *الله يشعر بك ويهتم بصلواتك ويدبر خلاصك فى الوقت المناسب؛ ليرفع عنك آلامك، ليس فقط الجسدية، بل الأهم خلاص نفسك وحياتك الأبدية، فلا تضطرب إن زادت الآلام، أو تأجلت استجابة صلواتك.*

ع**٩: مأدبة** : وليمة.

وبعـــد اللقاء الحار بين طوبيا وعائلة رعوئيل، جلسوا يتحدثون حديثًا طويلاً، كل منهم يحكى للآخر عن حياته ويفرحون بأخبار بعضهم البعض. ثم أمر رعوئيل بذبح كبش وإعداد الطعـــام للضيوف. والكبش هنا يشير إلى ذبائح العهد القديم، التى كانت دماؤها رمزًا لذبيحة المسيح، ولكن الفداء لابد أن يتم بموت المسيح نفسه، أى بزواج طوبيا، الذى يدخل إلى الموت (المخدع) ويقيد الشيطان، ثم يخرج حيًا بعروسه، أى الكنيسة، للحياة الجديدة.

ع**١٠:** ورغم الترحاب الشديد من رعوئيل والعناق والبكاء وإعداد الوليمة، إلا أن طوبيا لم ينشغل عن هدفه الذى أوصاه به الملاك، فطلب من رعوئيل أن يزوجه من ابنته. وطوبيا هنا يمثل الإنسان الروحى، الذى لا ينشغل عن هدفه – وهو الأبدية – بملاذ العالم الباطلة، أو الخـــادم الـــذى لا ينشغل عن طلب خلاص النفوس، بأحاديث وأعمال هذا العالم وضروراته المادية.

ع**١١:** فخاف رعوئيل عندما سمع ذلك وارتعد. وهذا يظهر محبة رعوئيل لمن حوله، فلم يكـــن أنانـــيًا، إذ تخلى عن فرحته بابنته، مفكرًا فى مصير طوبيا الذى ينتظره وموته، مثل السبعة أزواج السابقين.

ع**١٢:** وبينما كان رعوئيل خائفًا ومترددًا، ساعده عزريا – الذى معنى اسمه الله مساعد– وطمأنه أن يزوج ابنته لطوبيا وأنه لن يحدث لـــه ضررًا، بل أن موت السبعة أزواج السابقين

كان لأنهم اشرار شهوانيون، أما طوبيا فهو الوحيد المستحق للزواج من سارة؛ لأنه يتقى الله ويخافـــه. ويتضح من هذا، أن من يتقى الله ويخافه ينال بركات كثيرة، أما من يبتعد عن الله وينغمس فى شهوات العالم، يفقد حماية الله لـــه ويتعرض لحروب إبليس وفى النهاية للهلاك الأبدى.

ع١٣، ١٤: فتـــيقن رعوئيل بإيمان أن الله قد استجاب لصلواته وأرسل أخيرًا قريبًا يتقى الله، ليتـــزوج بابنته، حسب شريعة موسى، الذى أمر بتزاوج اليهود من بعضهم وبذى القرابة ولـــيس مـــن الأمم؛ للمحافظة على الأرض والأنساب. وهذه الأمور كلها كانت تمهيدًا لمجئ المـــسيا المنتظـــر يسوع المسيح إلهنا، الذى تكمل فيه كل الرموز. ثم وعد وطمأن طوبيا أن يعطيه سارة زوجة له.

(٢) زواج طوبيا من سارة (ع١٥-٢٠):

١٥ ثم أخذ بيمين ابنته سارة وسلمها إلى يمين طوبيا قائلاً إله إبراهيم وإله إسحق وإله يعقوب يكون معكما وهو يقرنكما ويتم بركته عليكما. ١٦ ثم أخذوا صحيفة وكتبوا فيها عقد الزواج. ١٧ وبعد ذلك أكلوا وباركوا الله. ١٨ ودعا رعوئيل حنة زوجته وأمرها أن تهيئ مخدعا آخر. ١٩ وأدخلته سارة ابنتها وهى باكية. ٢٠ وقالت لها تشجعى يا بنية ورب السماء يؤتيك فرحًا بدل الغم الذى قاسيته.

ع١٥: وبدأت مراسم الزواج، فأخذ رعوئيل بيد إبنته سارة وأعطاها لطوبيا. ومازال هذا الأمر قائمًا حتى الآن، فيسلم والد الخطيبة يدها إلى خطيبها، عند دخولهما للكنيسة؛ لإتمام سر الزيجة، وكذلك يسلم الكاهن العريس يد عروسته، أمام الهيكل، أثناء إتمام السر. وقد كان رب الأسرة فى العهد القديم يقوم بعمل الكاهن (حيث أن الزواج لم يكن سرًا وحيث أن الأسرار لم تكن قد أُسست بعد).

ع١٦: وبعـــد إتمام الزواج روحيًا، كتبوا عقدًا للزواج ووقعوا عليه، إثباتًا لما تم بيد الله، ومازال هذا ساريًا حتى الآن.

ونلاحظ أنه لم يذكر شيئًا عن المهر وذلك لأن طوبيا كان فقيرًا، ليس له شئ يقدمه لعروسه إلا نفسه، فهو يرمز للمسيح الذى افتقر من أجلنا وقدم نفسه عريانًا من كل مجد العالم على الصليب وقدم ذاته فداءً وخلاصًا لكنيسته.

ع١٧: وبعد إتمام الزواج قاموا يأكلون بفرح من الوليمة، وهذا يحدث فى كثير من الأحيان الآن، فبعد إتمام الزيجة، يتم عمل وليمة يحضرها الزوجان مع الأقارب والأحباء، تعبيرًا عن فرحهم بعمل الله. وهذه الولائم لابد أن تختلف عن ولائم أهل العالم، المملوءة بمظاهر لا تناسب أولاد الله، فلا يمكن أن تتفق مباركة الله فى ولائم المحبة، مع المظاهر التى تغضبه.

وطقس الكنيسة يفضل عمل الإكليل قبل القداس الإلهى، بعد رفع بخور باكر؛ ليتناول العروسان من الأسرار المقدسة، لأن كل سر يُكلل بسر الأفخارستيا، الذى هو سر الأسرار. ومن هنا تكون هذه الوليمة رمزًا لسر الأفخارستيا، الذى يتم بعد الزواج.

ع١٨: وبعد الوليمة، أمر رعوئيل بإعداد مسكن خاص، أى جناح يشمل مخدع وملحقاته للعروسين. وهذا يؤكد الفكر الروحى والنفسى، أن يكون هناك مسكناً مستقلاً لحديثى الزواج، يستطيعان فيه التعاون على تكوين أسرة جديدة، يتمتعان فيها بالوحدانية وبالخصوصية مع محبتهما لأقاربهما. وقد كانت المنازل قديمًا واسعة جدًا، تسمح بوجود أجنحة مستقلة، كمثال ما هو موجود حاليًا من مبانى بها مجموعة من الشقق.

ع١٩: ودخلت سارة مع طوبيا إلى مخدعها والدموع على عينيها. دموع امتزجت فيها فرحة الزواج بالخوف على عريسها من أن يموت، وكذلك دموع الرهبة من الحياة الجديدة.

ع٢٠: **يؤتيك** : يعطيك.

كانت حنة أم سارة تشيعها بكلمات التشجيع وتمنيات الرجاء بالفرح، عوض كل أتعابها القديمة.

ترمز الأم وهى تشجع سارة إبنتها بالملاك الذى يشجع الكنيسة. والكنيسة هنا ممثلة فى شخص المسيح الهنا، الذى حملنا فى جسده وكان يصارع من أجلنا فى بستان جثسيمانى، وكان عرقه يتصبب كقطرات دم – مثل دموع سارة التى تتساقط من عينيها – ثم أتى إليه ملاك ليقويه.

الأَصْحَاحُ الثَّامِنُ

طوبيا وسارة يبدآن حياتهما الزوجية

(١) صلاة طوبيا وسارة وقهر الشيطان (ع١-١٠):

١ ولما فرغوا من العشاء أدخلوا عليها الفتى. ٢ فذكر طوبيا كلام الملاك فأخرج من كيسه فلذة من الكبد وألقاها على الجمر المشتعل. ٣ حينئذ قبض الملاك رافائيل على الشيطان وأوثقه فى برية مصر العليا. ٤ووعظ طوبيا البكر وقال لها يا سارة قومى نصلى إلى الله اليوم وغدًا وبعد غد فإنا فى هذه الليالى الثلاث نتحد بالله وبعد انقضاء الليلة الثالثة نكون فى زواجنا. ٥ لأنا بنو القديسين فلا ينبغى لنا أن نقترن اقتران الأمم الذين لا يعرفون الله. ٦ فقاما معا وصليا كلاهما بحرارة حتى يعافيهما. ٧ وقال طوبيا أيها الرب إله آبائنا لتباركك السموات والأرض والبحر والينابيع والأنهار وجميع خلائقك التى فيها. ٨ أنت جبلت آدم من تراب الأرض وأتيته حواء عونًا. ٩ والآن يا رب أنت تعلم أنى لا لسبب الشهوة أتخذ أختى زوجة وإنما رغبة فى النسل الذى يبارك فيه اسمك إلى دهر الدهور. ١٠ وقالت سارة أيضًا ارحمنا يا رب ارحمنا حتى نشيخ كلانا معا فى عافية.

ع١: بعد وليمة الزواج – أى العشاء – دخل طوبيا الزوج إلى المخدع مع زوجته.

وهذا العشاء يرمز إلى العشاء الربانى، الذى عمله المسيح يوم خميس العهد، الذى قدم فيه جسده ودمه قوتًا لتلاميذه وكنيسته.

ع٢: فلذة : قطعة.

وفـــور دخولـــه، تذكر كلام الملاك، فأعد جمرًا وألقى عليه بجزء من كبد السمكة وكذا قلبها وإن لم يذكر فى هذه الآية ولكن يفهم مما سبق (طو٦: ٨).

وهـــنا نـــرى أن طوبيا يستخدم شيئًا ماديًا لإتمام عمل روحى، فبحرق الكبد والقلب قيد المـــلاك رافائيل الشيطان، كما يظهر فى (ع٣). وهذا ما تفعله الكنيسة فى أسرارها، فتأخذ

شـــكلاً ماديًـــا لعمل الروح القدس الروحى السرى، فتجديد طبيعة الإنسان فى سر المعمودية يكـــون تحـــت شـــكل الماء وفى سر الأفخارستيا ننال جسد المسيح ودمه تحت شكل الخبز والخمر؛ لأننا بشر من روح وجسد ونحتاج إلى شئ محسوس يلمسه الجسد، فيما تؤمن الروح بعمل الله.

مـــن أجل ما فعله طوبيا، بإشعال الجمر عند دخوله إلى مخدعه لأول مرة مع زوجته، اهتمت الكنيسة بطقس تبريك المنازل ورفع البخور؛ لتقديس مسكن العروسين، قبل زواجهما وفى كل وقت آخر؛ لطرد أعمال الشياطين وحلول بركة الله.

ع٣: **أوثقه** : قيده.

حينـــئذ، لم يستطع الشيطان أزمودواوس أن يقترب إليهما، بل وأكثر من هذا، هجم عليه رئيس الملائكة رافائيل وقبض عليه وألقاه فى برية مصر العليا، أى فى برية الصعيد الأعلى؛ لأن مصر قاومت أعمال الله فى شكل فرعون وكل شعبه وجنوده، أيام كان يسكن بينهم شعب الله، فضربهم الله بالضربات العشرة. ونرى أن الشياطين يحلو لها أن تسكن فى البرارى بعيداً عن البشر؛ إذ أن بعضهم لـــه علاقة بالله فى صلوات وعبادة، والشيطان لا يحتمل الصلوات المـــرفوعة باتـــضاع وحب لله. بالإضافة إلى أن برية مصر العليا، أى الصعيد الأعلى هو منطقة الأقصر، التى كانت تسمى طيبة، حيث كان المصريون يعبدون الإله آمون وآلهة كثيرة وانتـــشرت الأصـــنام فى هذه المنطقة وهناك يستريح الشيطان؛ لأن المزمور يقول "كل آلهة الأمم شياطين" (مز٩٦: ٥).

ويفهم من هذا أن ما فعله طوبيا ليس من أعمال السحر، كما يعترض البعض على هذا السفر؛ لأن السحر من أعمال الشياطين، أما هنا فتقييد الشيطان هو من أعمال الله، فكما اتهموا المـــسيح بأن له علاقة ببعلزبول، رد عليهم بأن المملكة إذا انقسمت على نفسها تخرب. فلا يمكن أن يكون هذا عمل سحر شيطانى، بل عمل الله الذى هو أقوى من الشياطين وقادر على تقييده (مت١٢: ٢٤-٣٠). وهكذا تظهر بركات الطاعة التى سلك فيها طوبيا؛ فأنقذه الله من الموت. وهكذا نحن أيضًا، بطاعتنا لوصايا الله، ينقذنا من الموت الأبدى.

طوبيا الابن هنا يرمز للمسيح ولقاؤه فى المخدع مع سارة وتقييد الشيطان وإقاؤه بعيدًا فـــى برية مصر يرمز لما حدث يوم صلب المسيح، فبموته قيد الشيطان ومات عن كنيسته، مـــتحدًا بها، ليقيمها فيه من الموت بالقيامة فى اليوم الثالث، فهذا اليوم يمكننا أن نسميه يوم الجلجثة، أو يوم الجمعة العظيمة، أما اليوم الثالث فهو يوم القيامة.

وقـــبض رافائـــيل علـــى الشيطان وإقاؤه بعيدًا عن سارة وطوبيا يرمز لتقييد المسيح الشيطان بصليبه وإبعاده عن عروسه الكنيسة.

✝ *ليتك تقدس بيتك بالصلوات الكثيرة، فتحرسه الملائكة وتمنع عنه كل أفعال إبليس.*

ع٤، ٥: وتقـــدم طوبيا، كرب لهذه الأسرة الجديدة وقائدًا لها وكلم زوجته، ليقفا للصلاة ويتمـــتعا بالاتحـــاد بالله، من خلال الصلاة لمدة ثلاثة أيام، كمثال الثالوث المقدس، أى كمال الوحدانـــية والاتصال بالله، وإذ يتحدا بالله، يقدرا أن يتحدا جسديًا فى علاقة زوجية. فهذا هو سلوك أولاد الله المقدسين فيه، حيث تكون علاقتهم بالله، هى أساس كل أعمالهم.

ع٦: فقامـــا الزوجان وصليا صلاة حارة من القلب؛ لكى يحفظهما الله فى محبته، ويبعد عنهما كل أعمال إبليس، ويشفيهما من كل الأمراض الروحية، أى يغفر خطاياهم.

ع٧: يذكـــر لـــنا هنا الوحى صلاة طوبيا وسارة، وهى تعتبر نموذجًا ممتازًا نهديه لكل عروســـين فـــى بداية حياتهما ليقتديا به. فقد رفع طوبيا قلبه بالتسبيح لله قبل كل شئ، داعيًا الخلـــيقة كلها لتمجد الله معه. فهكذا خلق الإنسان ليكون هو سيد الخليقة كلها والمسئول عن قيادتها فى تسبيح الله.

ع٨: وتذكـــر طوبـــيا الزواج الأول فى العالم، فى الجنة، قبل السقوط – أى زواج آدم وحواء – متمنيًا أن يكون زواجه فى اتحاد بالله وعلاقة حب وصلاة مستمرة.

ع٩: ثم يعلن طوبيا أن الشهوة لم تكن هدف زواجهما، بل إنجاب النسل، الذى يتبارك فيه الله، ويشترك هذا النسل فى تسبيح الله. وقد كان إنجاب النسل فى العهد القديم أمرًا هامًا، أكثر بكثير منه فى العهد الجديد، إذ كان الكل يتمنى أن يأتى المسيح من نسله، لذا فلقد كان العقم دليلاً على الضعف وعدم البركة. أما فى العهد الجديد، فالزواج كامل فى بركته، حتى بلا إنجاب؛ فالبنوة الروحية أكثر أهمية وكذا خدمة الله بالإضافة إلى التسبيح.

ع١٠: أما سارة فصلت باتضاع، طالبة رحمة الله، لكى ما يغفر خطاياهما ويسندهما طوال حياتهما، حتى الشيخوخة؛ إذ كان العمر المديد دلالة على البركة فى العهد القديم.

(٢) صلاة رعوئيل وحنة بعد نجاة طوبيا (ع١١-١٩):

١١ وكان نحو وقت صياح الديك أن رعوئيل أمر أن يجمع إليه غلمانه فانطلقوا معه واحتفروا قبرًا. ١٢ لأنه قال أخشى أن يصيبه ما أصاب غيره من الرجال السبعة الذين دخلوا عليها. ١٣ فلما أعدوا القبر رجع رعوئيل إلى زوجته وقال لها. ١٤ ابعثى واحدة من جواريك لترى هل مات حتى أواريه قبل ضوء النهار. ١٥ فأنفذت إحدى جواريها فدخلت المخدع فإذ هما سالمان معافيان وهما نائمان معا. ١٦ فعادت وأخبرت بهذه البشرى فبارك رعوئيل وحنة زوجته الرب. ١٧ قائلين نباركك أيها الرب إله إسرائيل من أجل أنه لم يصبنا ما كنا نتوقعه. ١٨ فإنك قد أتيتنا رحمتك وحبست عنا العدو الذى يضطهدنا. ١٩ ورحمت الوحيدين فاجعلهما يا رب يباركانك أتم بركة ويقدمان لك قربان تسبيحك وعافيتهما حتى تعلم الأمم كافة أنك أنت الإله الواحد فى الأرض كلها.

ع١١: وطوال ليلة الزواج سهر كلاً من رعوئيل وحنة زوجته، فى قلق على طوبيا؛ لئلا يموت مثل الأزواج السابقين. وعند صياح الديك، أى وقت السحر، قبل طلوع الفجر، جمع رعوئيل بعض عبيده والعاملين عنده وحفروا قبرًا بجوار المنزل؛ ليدفن فيه طوبيا.

ع١٢: وكان رعوئيل يخشى أن يصيب طوبيا ما أصاب الأزواج السابقين، فقد كان يعتقد أن موت طوبيا أمرًا محتومًا، ولا يستطيع أن يرده.

ع١٣، ١٤: لــذا فقد أمر رعوئيل بإعداد قبر لطوبيا، ثم طلب من حنة زوجته أن ترسل جارية؛ لتنظر الزوجين فى المخدع، فقد كان عنده رجاءٌ خفىٌ، أن الله قادر أن ينقذ طوبيا.

ع١٥، ١٦: عادت الجارية تخبرهما أنها رأتهما سالمين، حيين، نائمين فى هدوء، ففرح الوالدان وشكرا وباركا الرب.

ورعوئيل وحنة يرمزان للنسوة اللاتى رأين الرب يسوع فى القبر، وتحققن من موته، ثم فــى فجــر الأحــد والظلام باق، ذهبن إلى القبر، فقابلهن الملاك، الذى تشير إليه الجارية، وأخبــرهن ببشرى القيامة. وطوبيا يرمز – كما ذكرنا – للمسيح، وسارة لكنيسته، التى هى جسده، التى دخل بها إلى الموت وخرج حيًا بقيامته.

ع١٧، ١٨: وقــدم الــوالدان صلاة شكر لله وناديا بإله إسرائيل، أى الإله المهتم بشعبه وأولاده، لأن رحمته واسعة ويصد عنا أعمال الشياطين، فهو ضابط الكل ويستطيع أن ينقذنا من كل الأخطار.

ع١٩: وطلــبا من أجل الزوجين، أن يعيشا مع الله فى حياة الشكر، ويقدما أمامه ذبائح التــسبيح – أى عبادتهما العقلية – فى صلوات وعبادة مقدسة، وليتمجد الله فيهما ويكونا آية لكل الشعوب، فإنه ليس إله آخر فى الأرض، إلا إله إسرائيل.

(٣) وليمة الفرح وعطايا رعوئيل لطوبيا (ع٢٠-٢٤):

٢٠ وللحال أمر رعوئيل غلمانه أن يردموا القبر الذى حفروه قبل ضوء الصباح. ٢١ ثم أوعز إلى زوجته أن تعد وليمة وتصلح ما ينبغى للمسافرين من الزاد. ٢٢ وأمر بذبح بقرتين سمينتين وأربعة أكبش وأن تهيأ وليمة لجميع جيرانه وأصدقائه. ٢٣ واستحلف رعوئيل طوبيا أن يقيم عنده أسبوعين. ٢٤ وأعطى رعوئيل لطوبيا نصف ماله كله وكتب لطوبيا صكًا بالنصف الباقى أن يستولى عليه بعد موتهما.

ع٢٠: بعــد إعــلان بشرى الحياة الجديدة، التى أنعم بها الله على الزوجين، كان ينبغى الــتخلص من كل آثار الموت، فردم رعوئيل القبر قبل الفجر، الذى يشير للقيامة، فقد انتهى المــوت مع ظلمة الليل. وردم القبر أيضًا، يرمز لنهاية سلطان الجحيم على أبناء الله، الذين أقامهم معه، كما كان القبر الفارغ دليلاً على قيامة المسيح فى اليوم الثالث.

ع٢١، ٢٢: ثــم طلب من زوجته حنة، أن تعد وليمة عظيمة، ذكر تفاصيلها تعلن مدى فــرحته، وأيــضًا غــناه وكانت لكل الأحباء؛ ليفرحوا بعمل الله. وطلب منها أيضًا أن تعد احتياجات السفر للزوجين ومن معهم.

ففــى الوليمة أمر بعمل بقرتين، والبقرة تشير للخير والعطاء والأمومة، إذ تعطى اللبن بوفرة لأبنائها. أما الكبش، أى ذكر الخراف، فيشير للطاعة. والعدد بقرتين يشير إلى أن فداء الله وبــركاته هــى لكل من اليهود والأمم، ولتأكيد المعنى. أما أربعة كباش، فهى تشير إلى أرجاء المسكونة الأربعة، أى العالم كله. والمعنى الرمزى فى هذه الوليمة، هو أن بركات الله وخيره الفائض، يفيض بها بوفرة على أولاده المطيعين، الخاضعين له فى كل العالم.

ع٢٣: وقــد ترجــى وألح على طوبيا أن يظل معهما أسبوعين؛ ليفرحوا معًا بعمل الله العجيب، ويعيشوا فى أفراح الزواج، التى تمثل أفراح القيامة وظهورات السيد المسيح.

وقد طلب رعوئيل من طوبيا أن يظل عنده أسبوعين، والسبعة أيام (أسبوع)، تشير إلى تمــام عمــل الروح القدس، وأسبوعان لتأكيد المعنى، أى تمام الفرح بعمل الروح القدس فى الزيجة المقدسة.

ولــم يستخف طوبيا بحلف رعوئيل؛ حتى لا يغضب الله، الذى يكره الرجوع فى القسم واحترامًا لرغبة رعوئيل حميه.

ع٢٤: ثم وهب رعوئيل لطوبيا وسارة ابنته نصف أمواله ووعدهما بالنصف الثانى بعد مــوته، بــل كــتب صكا بهذا. وهذا يظهر مدى محبته للزوجين ومحبته للعطاء وعدم تعلقه بالمال.

✝ *وهكذا تظهر بركات الله، ليس فى حفظنا من الأخطار فقط، بل يهبنا بركات روحية ومادية لا نتخيلها.*

الأَصْحَاحُ النَّاسِعُ

عزريا يسترد المال من غابيلوس ويدعوه للعرس

⁂

(١) عزريا يسترد المال من غابيلوس (ع١-٨):

١ ثم أن طوبيا استدعى الملاك الذى كان يحسبه إنسانًا وقال له يا أخى عزريا أسألك أن تسمع كلامى. ٢ إنى لو جعلت نفسى عبدًا لك لما وفيت بعنايتك حق الوفاء. ٣ ولكنى مع ذلك أسألك أن تأخذ دواب وغلمانًا وتنطلق إلى غابيلوس فى راجيس مدينة الماديين وترد عليه صكه وتقبض منه الفضة وتدعوه إلى عرسى. ٤ لأنك تعلم أن أبى يحسب الأيام فإن زدت فى إبطآءى يومًا واحدًا حزنت نفسه. ٥ وأنت ترى أن رعوئيل قد استحلفنى ولست أستطيع أن أستخف بحلفه. ٦ حينئذ أخذ رافائيل أربعة من غلمان رعوئيل وجملين وسافر إلى راجيس مدينة الماديين ولقى غابيلوس فدفع إليه صكه واستوفى منه المال كله. ٧ وعرفه أمر طوبيا بن طوبيا وكل ما وقع وأتى به معه إلى العرس. ٨ فلما دخل بيت رعوئيل وجد طوبيا متكئًا فنهض قائمًا وقبلا بعضهما بعضًا وبكى غابيلوس وبارك الله.

ع١، ٢: شعر طوبيا أمام عمل الله العظيم معه، فى إنقاذه من الموت وفرحته بالزواج من سارة، بأن كل هذا كان بفضل إرشاد الشاب عزريا، فأحسَ أن لسانه لا يستطيع أن يعبر عن مدى شكره له. فطوبيا يتمتع بفضيلة العرفان بالجميل. وهو أيضًا إنسان متضع ويتضح هذا من قوله للملاك، لو صرت لك عبدًا، لما أوفيتك محبتك وعنايتك بى.

ع٣: وبدالة المحبة، تجرأ طوبيا وطلب من عزريا؛ استغلالاً للوقت، أن يذهب إلى راجيس وهى المدينة الكبيرة القريبة منهم ويستوفى الفضة من غابيلوس ويعطيه الصك ويدعوه أيضًا لحضور أفراح العرس.

ع٤: فضيلة أخرى كان يتمتع بها طوبيا، وهى تقدير مشاعر الآخرين؛ إذ أراد ألا يتأخر على والديه؛ لئلا يقلقا لتأخره، فالقلق يحارب الوالدين كبار السن.

ع٥: ومـــن ناحـــية أخرى، كان طوبيا يقدر مشاعر حميه رعوئيل، الذى يريده أن يبقى أسبوعين عنده، للفرح بزواجه. فهو مثال للإنسان الروحى المملوء فضائل.

✝ *هل تشكر الآخرين على كل ما يقدمونه لك، وتعبر بكل الوسائل عن تقديرك لأى عمل يعملونه معك، مهما كان صغيرًا. ليتك تكون متضعًا؛ فتشعر بفضل الآخرين عليك وخاصة أهل بيتك، حتى لو كان قلقهم يظهر فى توبيخ أو عتاب لك، فهذا نابع من حبهم وارتباطهم بك. إعتذر لهم وعدهم أن تهتم بمشاعرهم وقدم لهم حبًا أوفر، فالحب هو أعظم شئ فى الوجود.*

ع٦: فى محبة كبيرة لبى عزريا طلب طوبيا وجهز نفسه للسفر بأربعة غلمان وجملين. ووصـــل إلى راجيس وقابل غابيلوس واستوفى منه الفضة وأعطاه الصك. وهنا تظهر عناية الله، فى أن غابيلوس كان قد اجتاز أزمته المالية؛ فكان قادرًا على رد المال كله لصاحبه.

وعزريا هنا يرمز للإنسان الروحى، المجاهد فى سفره، فى برية هذا العالم. فقد أخذ جملين معه والجمل هنا يمثل احتمال التعب فى السفر (الجهاد). وجملان يشيران لكل من الجهاد الداخلى والجهاد الخارجى ولتأكيد أهمية الجهاد. وأربعة غلمان يشيرون إلى الجهاد ضد حروب إبليس، الآتية من جميع جهات المسكونة الأربع، أى جميع أنواع الحروب. وإذ أكمل جهاده، حقق هدفه وهو تحصيل المال من غابيلوس، كما يفوز المجاهد بالملكوت والميراث الأبدى.

ويرى بعض الآباء أن عزريا، أو الملاك رافائيل يرمز للروح القدس والأربعة كباش ترمز للأربعة أناجيل والجملين يرمزان للرسل والمبشرين وقد بشر الملاك رافائل غابيلوس وأخبره بكل ما أمر طوبيا الذى يرمز للمسيح.

✝ *ما أجمل التعاون بين الرفيقين، فهما مثال لكل صديقين أو رفيقين يعملان أو يخدمان معًا. كيف يتعاونان لتحقيق أهدافهما، دون التفكير فى كم التعب الذى تعباه، ويسرعان معًا فى العمل المطلوب، وحتى لو كان أحد الرفيقين هو الأكبر والأعظم، فبإتضاع يقبل أن يعمل أى عمل مهما كان وضيعًا، فها رئيس الملائكة يسرع لجمع المال لطوبيا، مع أنه أسمى من كل هذه الأعمال المادية الزائلة. إنه الحب الممتزج بالإتضاع، الذى يدفع إلى التعاون.*

ع٧، ٨: وإذ علم غابيلوس بالأخبار الطيبة التى لطوبيا وزواجه، أسرع مع عزريا ليهنئه. وتعانــق غابــيلوس مع طوبيا، الذى اندفع نحوه حالما دخل. وظهرت مشاعر غابيلوس نحو طوبيا الأب وابنه فى دموعه حين عانق طوبيا. فغابيلوس أيضًا يتمتع بفضيلة العرفان بالجميل وتقديره لمحبة طوبيا الأب، الذى وقف معه فى أزمته المالية؛ لذا أسرع يهنئ ابنه.

وهكذا حضر وليمة العرس أهل بيت رعوئيل والجيران وهم يرمزون لليهود الذين آمنوا بالمــسيح وتناولوا من جسده ودمه. أما غابيلوس فيرمز للأمم البعيدة، مثل المجوس وكل من آمن بالمسيح من الأمم وتمتع بالأسرار المقدسة.

(٢) صلاة البركة المقدمة من غابيلوس (ع٩-١٢):

٩ وقال يباركك الرب إله إسرائيل لأنك ابن رجل صالح جدًا بار متق لله صانع صدقات. ١٠ وتحل البركة على زوجتك وعلى والديكما. ١١ وتريان بنيكما وبنى بنيكما إلى الجيل الثالث والرابع ويكون نسلكما مباركًا من إله إسرائيل المالك إلى دهر الدهور. ١٢ فقالوا كلهم آمين ثم تقدموا إلى الوليمة إلا أنهم اتخذوا وليمة العرس بخوف الله.

ونقابل صلاة بركة جميلة مقدمة من غابيلوس، قاد فيها المجتمعين فى عرس طوبيا وهى صلاة جميلة من الصلوات الكثيرة التى يذخر بها هذا السفر العظيم.

ع٩: طلـــب غابيلوس بركة الله المهتم بشعبه وأولاده (إله اسرائيل)، وسبب البركة هى صـــلاح وفضائل طوبيا الأب، فبركة الآباء تحل على الأبناء، ويمكن للأبناء أن يستغلوا هذه البـــركة ويزدادوا فى التقوى؛ فتحل عليهم بركات أوفر. وقد لا يستفيدوا منها، بل تكون سببًا لدينونتهم، إذا لم يسلكوا باستقامة.

ع١٠: وطلب من الله أن يفيض بركته على سارة أيضًا وعلى الوالدين رعوئيل وحنة وأيضًا طوبيا الأب وحنة زوجته.

ع١١: بل وطلب أيضًا، بركة للأبناء، الذين تمنى أن يعطيهم الله لطوبيا، بل وبنى البنين والنسل الممتد عبر السنين. فقد كانت ولادة البنين – كما ذكرنا – بركة كبيرة؛ لأن الكل كان فى انتظار ولادة المسيا المنتظر من نسله. كل هذه البركات طلبها من الله، المالك إلى دهر الدهور، ضابط الكل، القادر أن يعطى بركة مستمرة؛ لذا يطمئن قلب أولاد الله؛ لأنهم فى رعاية هذا الإله العظيم المحب. ورد كل المجتمعين آمين على هذه الصلاة العظيمة، متمنين مع غابيلوس كل هذه البركات.

✝ *ما أجمل أن نقدم صلوات وتمنيات بركة لكل من حولنا ونشجعهم بها؛ فيمتلئون رجاءً.*

ع١٢: وتعبيرًا عن الفرح، تقدم الجميع للأكل من الوليمة (وليمة العرس)، التى امتدت طوال الأسبوعين اللذين قضاهما طوبيا عند رعوئيل بعد زواجه. وهنا تظهر سمات أفراح أولاد الله، فهى تكون فى خوف الله؛ فهم يشعرون بوجود الله فى وسطهم، فلا يتمادون فى مظاهر الفرح المادى، الذى يتنافى مع وجود الله وترمز أيضًا الوليمة إلى سر التناول من جسد الرب ودمه، الذى يفرح به المؤمنون ويتناولونه بخشوع وخوف ومهابة عظيمة.

الأَصْحَاحُ العَاشِرُ

قلق والدى طوبيا – ووداع سارة وطوبيا

⁂

(١) حزن حنة على ولدها وتعزية طوبيا الأب لها (ع١-٧):

١ ولما أبطأ طوبيا هناك لسبب العرس قلق أبوه طوبيا وقال لماذا ترى أبطأ ابنى وما الذى عاقه هناك. ٢ العل غابيلوس قد مات وليس من يرد له المال. ٣ وأخذه حزن شديد هو وحنه امرأته وطفقا كلاهما يبكيان لتخلف ابنهما عن الرجوع فى يوم الميعاد. ٤ وكانت أمه تبكى بدموع لا تنقطع وهى تقول آه أوه يا بنى لماذا أرسلناك فى الغربة يا نور أبصارنا وعكازة شيخوختنا وعزاء عيشتنا ورجاء عقبنا. ٥ لقد كان لنا فيك وحدك كل شئ فلم يكن ينبغى لنا أن نرسلك عنا. ٦ فكان طوبيا يقول لها اسكتى ولا تقلقى إن إبننا سالم والرجل الذى أرسلناه معه ثقة جدًا. ٧ فلم يكن ذلك يفيدها أدنى تعزية وكانت كل يوم تقوم مسرعة فتتشوف من كل جهة وتنظر فى جميع الطرق التى كانت تظن أن ابنها يرجع منها لعلها تراه عن بعد مقبلاً.

ع١: تظهر مشاعر الأبوة والأمومة فى انتظار والدى طوبيا له. وعندما أبطأ عن الميعاد المتوقع لرجوعه؛ بسبب زواجه وولائم العرس التى استمرت أسبوعين، قلق أبواه وبدأ طوبيا الأب يفكر، فيما يا ترى أسباب تأخره.

ع٢: وقال ألعله مازال يبحث عن غابيلوس، أو أن غابيلوس قد مات.

ع٣: طفقا : ظلا واستمرا.
ومن شدة التأثر والقلق بكى الوالدان.

ع٤: **عقبنا** : نسلنا الذى يخلفنا ويتحدث عنا بعد موتنا.

تتميز المرأة بعاطفتها الجياشة أكثر من الرجل، فعبرت الأم حنة عن عواطفها المتوترة؛ بسبب تأخر ابنها بدموع كثيرة وكلمات تظهر مشاعر الوالدين كبار السن نحو ابنهم الشاب الوحيد. فكانت تشعر أن ابنها، هو نور عينيها هى وزوجها؛ فهو لحيويته كشاب، يستطيع أن يتحرك بسرعة ويرى أمورًا كثيرة ويعلم والديه، بما لا يستطيعان الوصول إليه. وهو المساعد والمعين لوالديه كبيرى السن والضعيفى الحركة؛ لقضاء حاجاتهما. وإذ تقل قدرة الكبار، أو الشيوخ عن الحركة، مع زهدهم فى الأمور المادية، تصبح حركة وإنجازات الابن امتدادًا لحياتهم وعزاء لهم. وهو أيضًا يعد رجاءهما ومحققًا للآمال، التى لم يستطيعا تحقيقها فى حياتهما، وحتى عندما يفكران فى موتهما، يريان حياة ابنهما وبنيه امتدادًا لحياتهما على الأرض.

✝ *هذه هى مشاعر الوالدين المحبين لأبنائهم، فكم ينبغى أن يقدر الأبناء هذه المشاعر ؟*

ع٥: وبدأت الأم تندم على إرسال ابنهما فى هذه المهمة، إذ مع قلقها لتأخره واحتمال فقده، شعرت أن مجرد وجوده، كان فيه كل الكفاية ولا حاجة لهما فى سفره، أو تحصيل المال.

✝ *ما أجمل أن يكتفى الإنسان بما عنده ويشكر الله عليه، حتى لو تعطل تحقيق بعض ما يريده.*

ع٦: حاول طوبيا الأب أن يطمئن زوجته، بأن ابنهما سيعود سالمًا وأن الرجل المرافق موضع ثقة.

ع٧: **تتشوف** : تراقب.

لكن قلق الأم كان مسيطرًا عليها، فكانت تخرج كل يوم تنظر إلى الطرق المؤدية إلى نينوى، لعل ابنها يكون آتيًا من إحداها. وهذا يظهر أنه إذا خضع الإنسان لأفكار القلق، لا يستفيد من كلمات الله المطمئنة، فينبغى عليه أن يلتجئ لله بالصلاة؛ فيرفع عنه القلق ويطمئنه.

(٢) محاولات رعوئيل أن يستبقى طوبيا (ع٨-٩):

٨ وأما رعوئيل فقال لصهره إمكث ههنا وأنا أنفذ إلى طوبيا أبيك من يخبره بسلامتك. ٩ فقال له طوبيا إنى لأعلم أن أبى وأمى يحسبان الأيام وأرواحهما معذبة قلقًا.

ع٨: **أنفذ** : أرسل.

حاول رعوئيل، لمحبته لابنته وطوبيا زوجها، أن يستبقيهما؛ لكى يتمتع بوجودهما معه، هو وزوجته، فترة أطول، بعد أسبوعى ولائم الفرح؛ فاقترح فكرة جديدة على طوبيا، وهى أن يرسل رسولاً من عنده إلى طوبيا أبيه؛ ليطمئن هو وزوجته على سلامة ابنهما ويبشرهما بزواجه.

ويرمز رعوئيل هنا إلى تلاميذ المسيح وكل أحبائه، الذين تمنوا أن يبقى المسيح معهم على الأرض؛ ليروه بأعينهم ولكنه أوضح لهم أنه لابد أن يصعد إلى السماء، فهذا أفضل لهم؛ ليحيوا بالإيمان بمعونة الروح القدس وطوبيا قد سبق وقلنا أنه يرمز للمسيح.

وكما أصر طوبيا على الرجوع إلى أبيه، هكذا أيضًا أصر المسيح على إتمام الفداء والصعود إلى أبيه فى السماء.

وكما أخذ طوبيا سارة عروسه معه إلى أبيه هكذا أعد المسيح مكانًا لكنيسته (عروسه) وقَبلَ المؤمنين به فى الفردوس.

ع٩: ولكن طوبيا الابن، كان يعلم مدى تعلق والديه به وقلقهما؛ لكبر سنهما، فرفض بلطف، رغم إلحاح رعوئيل الكثير. وهذا يظهر أنه رغم تقديره لمحبة رعوئيل وزوجته، كان مقدرًا لمسئوليته عن أبويه واحترامه لمشاعرهما، حتى لو كان قلقهما زائدًا.

(٣) رعوئيل يودع طوبيا وسارة (ع١٠-١٣):

١٠ وبعد أن أكثر رعوئيل من الإلحاح على طوبيا فأبى أن يسمع بوجه من الوجوه أعطاه سارة ونصف أمواله كلها من غلمان وجوارى ومواشى وإبل وبقر وفضة كثيرة وصرفه من عنده بسلام فرحًا. ١١ قائلاً ملاك الرب القدوس يكون فى طريقكما ويبلغكما سالمين وتجدان كل شئ عند أبويكما بخير وترى عيناى بنيكما قبل موتى. ١٢ وأقبل الوالدان على ابنتهما يقبلانها ثم صرفاها. ١٣ وأوصياها أن تكرم حمويها وتحب بعلها وتدبر عيالها وتسوس بيتها وتحفظ نفسها غير ملومة.

ع١٠: بعد فشل محاولة رعوئيل استبقاء طوبيا وسارة مدة أطول، لم يضطرب أو يغضب؛ لأن دافعه كان الحب فقط وليس التمسك بالرأى الشخصى. وأعطاه سارة زوجته ونصف أمواله من العبيد والجوارى والحيوانات.

رجوع طوبيا إلى أبيه بعد إكمال مهمته يرمز إلى رجوع الابن، ليجلس عن يمين أبيه بعد أن أكمل الفداء، كما يقول المسيح "خرجت من عند الآب وقد أتيت إلى العالم وأيضًا أترك العالم وأذهب إلى الآب" (يو١٦: ٢٨).

ع١١، ١٢: أما رعوئيل فقد ودعهما بفرح، متمنياً لهما مرافقة ملاك الله لهما فى الطريق؛ حتى يصلا إلى والدى طوبيا. وتمنى رعوئيل وزوجته أن يعيشا حتى يريا أبناء طوبيا وسارة ويفرحا بهم. جميل أن يكون للإنسان أملٌ ورجاء طوال حياته. ثم قبل الوالدان سارة ابنتهما وودعا الزوجين ومن معهم؛ ليذهبوا بسلام. وعلى قدر ما يطلب الإنسان معونة الله يجدها، فكما طلب طوبيا الأب لابنه مرافقة ملاك الله له فى سفره، طلب رعوئيل أيضًا مرافقة ملاك الله له فى عودته. وقد استجاب الله له وكان رئيس الملائكة فعلا، هو المرافق له فى كل خطوة والمعتنى به.

ومن الجميل أن يدعو رعوئيل والدى طوبيا أبوين للزوجين، فبعد الزواج يصير الحموان والدين.

✝ *ليت كل زوج وزوجة ينظران للحموين نظرة بنوة، فيسرعان إلى إكرامهما والخضوع لهما باتضاع، مع التماس الأعذار لهما؛ لكبر سنهما، وتقديرًا لأتعابهما طوال السنين الماضية فى تربية الابن أو الابنة، ويريان فى عناية الحموين بالواحد منهما، عناية بالآخر، إذ يشعر الزوجان أنهما واحد أمام الله.*

ع١٣: ثــم قدم رعوئيل وحنة وصيتهما الأخيرة لابنتهما العروس؛ لتسلك بها فى حياتها الجديــدة، وهــى وصــية هامة جدًا بمشتملاتها الخمس، ينبغى أن تهتم بها كل زوجة جديدة ويوصى بها الوالدان ابنتهما العروس الجديدة.

وأول جــزء فــى هذه الوصية هو إكرام الحموين؛ لأنهما صارا والدين والغريب أنهما يقدمان إكرام الوالدين، قبل العلاقة مع الزوج، مع أن العلاقة الأساسية هى مع الزوج، وهى أهــم شئ، ولكن إكرام الوالدين، يعطى جوًا هادئًا للحياة الزوجية الجديدة، بل ويزيد محبتهما ورعايتهما للزوجين، بالإضافة إلى أن الوالدين – لكبر سنهما – ينبغى أن نكرمهما فى أواخر أيامهما.

ثــم يأتى الجزء الثانى من الوصية وهو محبة الزوج، الذى تتحد به وتصير لهما حياة واحدة ولا يمكن تحقيق الوحدانية، إلا بالحب الباذل المضحى.

ويأتــى الجزء الثالث من الوصية وهو الاهتمام بتربية ورعاية الأبناء، الذين سينعم الله بهم عليهما، وتدبير وتوطيد أواصر المحبة، وتنسيق علاقة المحبة بين الأبناء بعضهم البعض وبينهم وبين والديهم؛ لتترابط الأسرة برباط المحبة وهنا تظهر حكمة الأم ومحبتها.

أمــا الجزء الرابع فى الوصية فهو تدبير البيت، ويشمل توفير كل الاحتياجات المادية للــزوج والأبناء والرعاية وتقديم كل هذا بطريقة لطيفة ومبهجة ومحاولة تلافى أى تعارض بين أعضاء الأسرة.

أخيرًا نأتى للجزء الخامس والأخير، وهو أن تحفظ نفسها بلا لوم، أى تصون نفسها من الأخطاء الظاهرة، الواضحة، المعثرة، مثل الطباع الشريرة وليس المقصود هنا مجرد الخطأ، لأنــه لــيس إنسان بلا خطية أو لوم، إنما يعنى أهمية الجهاد الروحى فى الحياة الشخصية؛ ليكون الإنسان تقيًا أمام الله، فلا ينسى خلاص نفسه وسط مسئوليات الحياة.

وترمــز سارة كما قلنا للكنيسة وحمواها للناموس وأسفار العهد القديم بكل ما فيها، فقد أعلن المسيح أنه جاء "لا لينقض بل ليكمل" (مت٥: ١٧) والزوج هو المسيح الذى بدأ بالحب، فبادلته الكنيسة حبًا بحب "نحن نحبه لأنه هو أحبنا أولاً" (١يو٤: ١٩).

أما الأبناء فهم المؤمنون، فتربى الكنيسة أولادها وتدبر أمورهم بكل ما فيها من أنشطة وخدمات وتحفظ نفسها فى نقاوة بعيدًا عن الخطية.

الأَصْحَاحُ الحَادِى عَشَرَ

وصول طوبيا لأبويه وشفاء طوبيا الأب من العمى

⁂

(١) عودة طوبيا مع الملاك لأبويه (ع١-١٢):

١ وفيما هم راجعون وقد بلغوا إلى حاران التى فى وسط الطريق جهة نينوى فى اليوم الحادى عشر. ٢ قال الملاك يا أخى طوبيا إنك تعلم كيف فارقت أباك. ٣ فلنتقدم نحن أن أحببت والعيال وزوجتك يلحقوننا على مهل مع المواشى. ٤ وإذ توافقا على المضى قال رافائيل لطوبيا خذ معك من مرارة الحوت فإن لنا بها حاجة فأخذ طوبيا من المرارة وانطلقا. ٥ وأما حنة فكانت كل يوم تجلس عند الطريق على رأس الجبل حيث كانت تستطيع أن تنظر على بعد. ٦ فلما كانت تتشوف ذات يوم من ذلك الموضع نظرت على بعد وللوقت عرفت أنه ابنها قادمًا فبادرت وأخبرت بعلها قائلة هوذا ابنك آت. ٧ وقال رافائيل لطوبيا إذا دخلت بيتك فاسجد فى الحال للرب إلهك واشكر له ثم أدن من أبيك وقبله. ٨ واطلِ لساعتك عينيه بمرارة الحوت هذه التى معك واعلم أنه للحين تنفتح عيناه ويرى أبوك ضوء السماء ويفرح برؤيتك. ٩ حينئذ سبق الكلب الذى كان معه فى الطريق وكان كأنه بشير يبدى مسرته ببصبصة ذنبه. ١٠ فقام أبوه وهو أعمى وجعل يجرى وهو يتعثر برجليه فناول يده لغلام وخرج لملاقاة ابنه. ١١ واستقبله وقبله هو وامرأته وطفقا كلاهما يبكيان من الفرح. ١٢ ثم سجدوا لله وشكروا له وجلسوا.

ع١: **حاران** : مدينة ما بين نهرى دجلة والفرات، تقع شمال شرق دمشق على بعد مئتين وثمانين ميلاً وهى مدينة تجارية ومعنى اسمها الطريق، إذ تقع على طريق تجارى. وقد تغرب فيها تارح وابنه إبراهيم، قبل أن يذهب إبراهيم إلى كنعان وأقام فيها أيضًا يعقوب عشرين عامًا، تزوج فيها وأنجب أبناءه.

بلغ طوبيا والملاك إلى حاران، التى تقع فى وسط الطريق إلى نينوى فى اليوم الحادى عشر (أنظر خريطة ٢ صـ٢٦٥).

ويلاحظ على الخريطة أن حاران تقع شمال غرب نينوى ولكنها كانت محطة على الطريق الآتى من راجيس، ثم بعدها ينحدر المسافر إلى الجنوب الشرقى إلى نينوى.

ويرمز طوبيا هنا إلى أصحاب الساعة الحادية عشر، الذين وصلوا إلى الأب طوبيا، أى نالوا الخلاص وهم اليهود، الذين عاصروا المسيح وآمنوا وقد سبقهم الكثيرون الذين ماتوا على رجاء القيامة، ويرمز أيضًا للأمم البعيدة عن الإيمان والتى آمنت بالمسيح.

ع٢، ٣: كان طوبيا يريد أن يسرع لرؤية والديه ليطمئنهما، ولشعور الملاك بقلق الوالدين؛ فقد اقترح على طوبيا، أن يقسم القافلة إلى قسمين، يسرعا هما أولاً – وغالبًا كانا يركبان فرسًا، أو إثنين – ثم تلحق بهما باقى القافلة، التى تشمل سارة والعبيد والجوارى (العيال) – وأحيانًا كان يسميهم الغلمان – ومعهم الماشية.

ع٤: وقد وافق طوبيا وحينئذ نبهه الملاك، أن يأخذ معه جزءاً من مرارة السمكة، فسيحتاج إليها.

وإسراع طوبيا للوصول إلى أبيه يرمز إلى صعود المسيح نائبًا عن البشرية كلها؛ ليعد لعروسه وكنيسته (سارة) مكانًا، ويفرح قلب الله الآب (طوبيا الأب). ونجاة طوبيا من الموت وخلاص سارة يرمز لقيامة المسيح من بين الأموات مقدمًا الفداء لكنيسته.

ع٥: ولاشتياق حنة لرؤية إبنها، الذى تأخر فى الوصول، كانت تخرج كل يوم وتجلس على قمة جبل، خارج نينوى ويطل على الطرق المؤدية إلى المدينة، فمن هناك كانت تستطيع أن تنظر لمسافة بعيدة. وكانت لا تكل من الانتظار؛ لمحبتها لابنها. وهكذا النفوس المحبة لله تنتظر مجيئه وكما يقول بولس الرسول "لى أشتهاء أن أنطلق وأكون مع المسيح" (فى١: ٢٣).

ع٦: وفى أحد الأيام، بينما هى تنظر الطريق، رأت من بعيد شخصًا مقبلاً، يشبه ابنها فى حركته وبإحساس الأم، تيقنت أنه ابنها، فأسرعت تبشر زوجها طوبيا.

ع٧: **أدن** : اقترب.

وأرشد الملاك طوبيا – وهما يقتربان من المنزل – عما يفعله عند دخوله. وقال له أن يقدم السجود والشكر لله، ثم يقبل والده. فالله هو الأول فى حياتنا وفى ضيقاتنا وفى مسرتنا وينبغى أن يقدم له الخشوع مع الشكر، فهذه هى مشاعر الصلاة، وبعد ذلك، إذ نمتلئ بنعمة الله ومحبته، نستطيع أن نعبر عن محبتنا لأحبائنا.

ع٨: **أطل** : من طلاء، أى أدهن.

ثم أرشده أن يضع من مرارة السمكة على عينى طوبيا الأب؛ فتنفتح عيناه ويرى كل شئ ويفرح برؤية الله.

ويرمز طوبيا الابن إلى المسيح والمرارة إلى الآلام التى احتملها على الصليب؛ لأجل خلاص البشرية، أما طوبيا الأب فيرمز للبشرية، التى نالت الاستنارة الروحية فى سر المعمودية من خلال آلام المسيح وفدائه التى ترمز إليها المرارة.

ع٩: **بصبصة ذنبه** : تحريك ذيله.

وأثناء الكلام اقتربا جدًا من البيت، فأسرع الكلب الذى رافقهما فى الرحلة وكان يحرك ذيله؛ معلنًا فرحته بالرجوع إلى بيته، فكان كمبشر لطوبيا وزوجته بوصول القافلة إلى البيت.

ع١٠: وإذ وصل الكلب إلى البيت، ورأته الأم ففرحت وأسرعت للقاء ابنها وقام الأب طوبيا الأعمى يجرى هو أيضًا، متناسيًا عدم قدرته على الرؤية، فكان يصطدم فى طريقه بأشياء كثيرة، فتقدم أحد الشباب الذين حوله ليمسك بيده ويساعده لاستقبال ابنه. ويرمز الغلام الذى أمسك بيد طوبيا إلى يوحنا المعمدان، الذى مهد طريق المسيح ببشارته وساعد البشرية، التى كانت تعيش فى ظلمة الخطية والتى يرمز إليها طوبيا الأب حتى تقبل بشارة المسيح، الذى يرمز إليه طوبيا الابن.

ع١١: **طفقا** : ظلا واستمرا.

وكان اللقاء حارًا بين طوبيا ووالديه، ومن فرط فرحهما كانا يبكيان.

ونلاحظ هنا أن طوبيا سبق امرأته على بيت أبيه، كما صعد المسيح إلى السماء، ليعد لكنيسته مكانًا، فتكون حيث يكون هو (يو١٤: ٢)

ع١٢: ثم تقدم الكل للصلاة وسجدوا شكرًا لله وبعدئذ جلسوا يتحدثون وعبر كل منهم عن مشاعره وهكذا قدموا الله قبل حديثهم الشخصى، كما ذكرنا.

(٢) البصر يعود لطوبيا الأب (ع١٣-١٧):

١٣ فأخذ طوبيا من مرارة الحوت وطلى عينى أبيه. ١٤ ومكث مقدار نصف ساعة فبدأ يخرج من عينيه غشاوة كغرقئ البيض. ١٥ فأمسكها طوبيا وسحبها من عينيه وللوقت عاد إلى طوبيا بصره. ١٦ فمجد الله هو وامرأته وكل من كان يعرفه. ١٧ وقال طوبيا أباركك أيها الرب إله إسرائيل لأنك أدبتنى وشفيتنى وهأنذا أرى طوبيا ولدى.

ع١٣: وأخبر طوبيا أباه أن معه دواء لعلاج العينين، قد أحضره معه من الرحلة واستسمحه أن يستخدم هذا الدواء معه، ثم قام وطلى عينى أبيه بمرارة الحوت (السمكة).

واستخدام مادة مرارة الحوت؛ لشفاء مرض طوبيا الأب كان أمرًا مقبولاً فى هذا الوقت، إذ أن الطب عند قدماء المصريين كان معروفًا ويستخدم فيه الكبد والمرارة والأسماك لدهن المرضى، فيبرأوا من أمراضهم.

كان طوبيا مؤمنًا بكلام الملاك أن أبيه سيشفى، لكنه أطاع وطلى عينيه بمرارة الحوت وهذا ما يحدث فى سر مسحة المرضى، عندما يدهن الكاهن المريض بالزيت وبالإيمان يشفى من أمراضه؛ لأن الروح يؤمن والجسد أيضًا يشارك عند لمسه بمادة محسوسة.

ونلاحظ أن الملاك حدد المادة المناسبة لشفاء المرض وهى المرارة وحدد أيضاً من يطلى عينى الأب بالمادة وهو طوبيا الابن وهذا يرمز إلى تحديد زيت مسحة المرضى؛ لشفاء المرضى، بيد كاهن العهد الجديد.

ع١٤، ١٥: **غرقئ البيض** : الغشاء الرقيق المحيط ببياض البيضة المسلوقة تحت القشرة الجافة.

ثم استمرت جلستهم فى أحاديث المحبة، فيحكى طوبيا عن رحلته وما حدث بها، والوالدان يحكيان عن أحوالهما. وبعد مرور حوالى نصف ساعة، بدأ يظهر على عينى الأب طوبيا غشاء رقيق، فأمسك طوبيا الابن بطرف هذا الغشاء وسحبه من عينى أبيه؛ فانفتحت عيناه فى الحال وأبصر كما كان.

ورغم أن الشفاء كله كان من الله بعمل نعمته، لكننا نلاحظ أن طوبيا قد استخدم مادة، هى مرارة الحوت وقد تكوّن غشاء وسحبه من عينى والده، فهذه الأشياء المادية، لم تكن سوى لتأكيد أهمية الجهاد الروحى؛ لنوال عمل النعمة الإلهية. كما كان المسيح ربنا يضع طينًا على عينى المولود أعمى ويطلب منه أن يغتسل، وكما طلب من المحيطين به، أن يرفعوا الحجر عن باب قبر لعازر (يو ١١: ٣٩)، وكذلك شاول الطرسوسى عندما اعتمد على يد حنانيا الكاهن فى دمشق فسقطت من عينيه قشور وانفتحت عيناه (أع٩: ١٨)

إذًا فانتظار نصف ساعة كان لاختبار إيمان طوبيا الابن والأب، فالله يؤجل عمله أحيانًا ولو فترة صغيرة؛ لاختبار إيماننا، كما يتم فى الأسرار المقدسة مثل سر مسحة المرضى، فتُصلى صلاة لمدة ساعة ويرشم المريض بالزيت، فبالإضافة إلى أهمية الصلاة فهى فرصة لإختبار الإيمان بقوة الله القادر على الشفاء.

✝ *ينبغى أن نتمم جهادنا؛ لننال النعمة الإلهية من الله القادر على كل شئ، وبالتالى لا تنزعج قلوبنا، مهما كانت الضيقة صعبة، أو يبدو حلها مستحيلاً "فغير المستطاع عند الناس مستطاع عند الله" (لو١٨: ٢٧).*

ع١٦: وكان فرح عظيم بشفاء طوبيا المعجزى، شاركه فيه كل من حوله ومن يعرفه. وفى الحال تحولت مشاعر الفرح إلى تمجيد وشكر لله، وهذا هو سلوك أولاد الله الذى يدفعهم للتسبيح كل يوم فى الكنيسة، شكرًا لله على خلاصه، الذى أتمه على الصليب ويقدمه لهم فى الكنيسة وأسرارها.

ع١٧: والجميل أنه لم يوجد أدنى تذمر عند طوبيا الأب، بل كان متقبلاً للتجربة؛ كتأديب من الله، واثقًا فى رحمته وشفائه الذى أنعم به عليه. فالرضى والشكر يفتحان الباب لعمل نعمة الله مع الإنسان.

(٣) وصول سارة والقافلة بسلام (ع١٨-٢١):

١٨ وأما سارة كنته فوصلت بعد سبعة أيام هى وجميع العيال بسلام والغنم والإبل ومال كثير مما للمرأة مع المال الذى استوفاه من غابيلوس. ١٩ وأخبر أبويه بجميع إحسانات الله التى أنعم بها عليه على يد ذلك الرجل الذى ذهب معه. ٢٠ ووفد على طوبيا أحيور ونباط وهما ذوا قرابة له فرحين وهنآه بجميع ما من الله به عليه من الخير. ٢١ وعملوا وليمة سبعة أيام وفرحوا كلهم فرحًا عظيمًا.

ع١٨، ١٩: واستمر طوبيا الابن يحكى لوالديه كل تفاصيل الرحلة وكل نعم الله، التى أنعم بها عليه بواسطة عزريا، رفيقه ومرشده. والوالدان يسمعان بفرح واشتياق ويشكران الله على بركاته.

وعزريا أى الملاك رافائيل يرمز – كما ذكرنا – للروح القدس وبواسطته نال طوبيا إحسانات الله الكثيرة، فالروح القدس هو الذى يهبنا بركات الخلاص، التى أتمها المسيح على الصليب.

وبعد انقضاء سبعة أيام، مرت سريعًا كأنها لحظات، من فرط الفرح بلقاء طوبيا لوالديه. وصلت سارة مع العبيد والجوارى وكل الماشية وكل الأموال، سواء التى أخذتها من والديها، أو التى حصلوا عليها من غابيلوس. وهى تمثل بركات الله لأولاده المطيعين لوصاياه. وعدد سبعة يرمز لكمال انتظار بركة الله، وتشير أيضًا إلى زمان استكمال الكنيسة (سارة) لجهادها على الأرض، حتى تصل إلى السماء.

فإن كان طوبيا الإبن يرمز للمسيح الذى وصل إلى بيت أبيه، أى صعد إلى السموات، فسارة التى ترمز للكنيسة قد وصلت بعده إلى السماء، حيث أعد لها مكانًا؛ لتكون معه إلى الأبد ومعها كل ما اقتنته فى العالم من فضائل (التى ترمز إليها مقتنياتها المادية من عبيد وأموال وماشية) وقد اقتنت كل هذا بسبب اقترانها بطوبيا، أى المسيح الذى خلصها من أسر الشيطان (ازموداوس).

ع٢٠: **أحيور** : اسم عبرى معناه آخر.

نباط : إسم عبرى معناه الله يرى.

وأقبل أقرباء طوبيا الأب، عندما سمعوا بخبر شفائه ورجوع ابنه متزوجًا ومعه أموال كثيرة لتهنئته. وكان أشهر إسمين من أقربائه ذكرهما الكتاب المقدس، هما أحيور (أخر) ونباط (الله يرى) وهما يرمزان إلى أنه إن طالت الضيقة، فالله ضابط الكل يرى كل شئ وأخيرًا يفيض بمراحمه ويفرح قلب أولاده.

ع٢١: وقد عبر الجميع عن فرحهم بوليمة استمرت سبعة أيام. والوليمة ترمز إلى وليمة العهد الجديد، أى جسد الرب ودمه، مصدر فرحنا الكامل. أما عدد سبعة، فيرمز لكمال الفرح. وإذا كان طوبيا الأب يرمز إلى الآب، فاقربائه يشيرون إلى الملائكة، التى تفرح بوصول الكنيسة إلى السماء، بعد نهاية هذا العالم ويحيون فى الوليمة السمائية إلى الأبد.

وإن كانت الكنيسة، التى ترمز إليها سارة، فرحت فى بيت أبيها رعوئيل بوليمة، فهى ترمز للفرح بالمسيح على الأرض ولكن فى السماء أيضًا فرح آخر لا يعبر عنه، ترمز إليه الوليمة التى أقيمت عند طوبيا الأب، الذى يرمز إلى الآب.

الأصحاح الثانى عشر

عزريا يكشف عن شخصيته

⁂

(١) طوبيا وابنه يقرران مكافأة عزريا (ع١-٥):

١ حينئذ دعا طوبيا ابنه إليه وقال له ماذا ترى نعطى هذا الرجل القديس الذى ذهب معك. ٢ فأجاب طوبيا وقال لأبيه يا أبت أى أجرة نعطيه وأى شئ يكون موازيًا لإحسانه. ٣ أخذنى ورجع بى سالمًا والمال هو استوفاه من عند غابيلوس وبه حصلت على زوجتى وهو كف عنها الشيطان وفرح أبويها وخلصنى من افتراس الحوت وإياك أيضًا هو جعلك تبصر نور السماء وبه غمرنا بكل خير فماذا عسى أن نعطيه مما يكون موازيًا لهذا. ٤ لكنى أسألك يا أبت أن تسأله هل يرضى أن يأخذ النصف من كل ما جئنا به. ٥ فدعاه الوالد وولده وأخذاه ناحية وجعلا يسألانه أن يتنازل ويقبل النصف من جميع ما جاءا به.

ع١: بعد أن حصلت كل هذه البركات، أخذ طوبيا الأب ابنه جانبًا وبدأ يتفاهم معه، فى مقدار الأجر الذى يستحقه عزريا، الرجل الذى رافقه فى رحلته.

ع٢: وماذا يجزيه مقابل جزيل إحسانه مع طوبيا الابن.

ع٣: فذكر طوبيا الابن البركات الخمس العظيمة، التى عملها معه وهى :

١- حفظه ورجع به سالمًا من هذه الرحلة.

٢- استوفى له المال من غابيلوس.

٣- أرشده إلى سارة وزوجه بها ومنع الشيطان عنهما وفرح والديها.

٤- أنقذه من الحوت – أى السمكة الكبيرة – التى كانت ستفترسه.

٥- فتح عينى طوبيا الأب.

ومما سبق، يظهر تقدير الأب وابنه لتعب الآخرين معهما، وعرفانهما بالجميل، لدرجة أنهما يلقبانه بالقديس وقد عزما أن يعطيانه نصف الممتلكات، التى عادوا بها من الرحلة.

ع٤: ويظهر أيضًا اتضاعهما، فى قولهما هل يسمح عزريا ويقبل نصف الممتلكات؟

✝ *إن كنت مستعدًا للتضحية والبذل لله والآخرين عند ضيقتك، فلا تتراجع فى نذورك لله، أو فى وعودك للآخرين ومكافأتك لهم عن تعبهم عندما تحل مشكلتك، بل كن كريمًا، مثل طوبيا وابنه، مقدرًا تعب الآخرين معك وكن معطيًا بسخاء، كما يعطيك الله أيضًا بسخاء.*

ع٥: وباتضاع انفرد طوبيا وابنه بعزريا وترجياه أن يقبل نصف ما حصلوا عليه من هذه الـــرحلة وسنرى أن عزريا لن يأخذ منهما شيئًا وسيعلمهما بشخصه وهو أنه رئيس الملائكة الجليل رافائيل ومن هذا نفهم أن عطايا الله لنا مجانية (رو٣: ٢٤).

(٢) عزريا يطلب منهما أن يباركا الله ويعلنا عمله معهما (ع٦-١٠):

٦ حينئذ خاطبهما سرًا وقال باركا إله السماء واعترفا له أمام جميع الأحياء لما أتاكما من مراحمه. ٧ أما سر الملك فخير أن يكتم وأما أعمال الله فإذاعتها والاعتراف بها كرامة. ٨ صالحة الصلاة مع الصوم والصدقة خير من ادخال كنوز الذهب. ٩ لأن الصدقة تنجى من الموت وتمحو الخطايا وتؤهل الإنسان لنوال الرحمة والحياة الأبدية. ١٠ وأما الذين يعملون المعصية والإثم فهم أعداء لأنفسهم.

ع٦: أما الملاك فقد كلمهما عن شئ آخر، وهو أن يمجدا الله ويحدثا بأعماله معهما.

ع٧: بل أوضح لهما، أنه إن كانت أسرار الملوك الأرضيين ينبغى أن تكتم، خوفًا من أن يلحقهـــم الضرر إذا أعلنت؛ لأنهم بشر، فعلى العكس، فإن أسرار ملك الملوك ورب الأرباب وعمله مع البشر ينبغى أن تذاع؛ ليبارك الكل الله، خاصة فى ظروف مثل تلك التى يعيش فيها شعب الله متغربًا بين الأمم؛ ليثبت أولاد الله فى إيمانهم وترى الأمم عمل الله، فيؤمنوا، ولكن بشرط ألا يترك الإنسان اتضاعه، فيفتخر حينما يذكر أعمال الله، أو يظن أنه أفضل من غيره لما تم معه. وقد كان إتضاع طوبيا وابنه واضحًا، فلا خوف عليهما من إذاعة أعمال الله.

ويرمـــز ســـر الملك إلى أسرار الكنيسة، التى يراها المؤمنون فقط ولا تقال، أو تكشف لغير المؤمنين؛ لأنهم لن يفهموها. بالإضافة إلى أن سر الملك هو العلاقة الشخصية بين النفس والله واختباراتها الخاصة التى لا تعلن للناس، كما قال سفر النشيد "أختى العروس جنة مغلقة عين مقفلة ينبوع مختوم" (نش٤: ١٢).

فالوضـــع العام ألا تكشف الاختبارات الشخصية وللضرورة تنسب لمجهول، كما تكلم بـــولس الرسول عن إنسان يعرفه اختطف إلى السماء الثالثة وكان يتكلم عن نفسه. ولكن فى بعـــض الأحـــوال – لتعليم الآخرين – يحتاج المعلم أن يعلن أسرار الله وذلك يكون بإرشاد روحى، كما فى حالة طوبيا هذه وابنه، كما أعلمهما الملاك.

✝ *ما أجمل أن يذيع الإنسان أعمال الله مع إخفائه لذاته؛ حتى لا يحارب بالكبرياء. كما أعلن بولس الرسول فى العهد الجديد عن عمل الله معه، إذ أراه الله السماء الثالثة، أى فردوس النعيم ولكنه أخفى ذاته قائلاً، أعرف إنسانًا ولم يقل أنا رأيت (٢كو١٢: ٢).*

ع٨: بعـــد أن دعـــا عزريا طوبيا وابنه؛ لمباركة الله وإذاعة أعماله، أظهر لهما أهمية وســـائط النعمة الثلاثة الأساسية، وهى الصلاة والصوم والصدقة وأنها أفضل من كل كنوز العالم؛ لأنه بها يرتبط الإنسان بالله، مصدر كل الغنى الروحى والمادى.

ع٩: ثـــم ركـــز على أهمية الصدقة؛ إذ تنجى الإنسان من الموت الأبدى وتغفر خطاياه وتجعل مراحم الله تفيض عليه وبها يرث الحياة الأبدية. لأن الصدقة هى خروج الإنسان عن ذاته، حينئذ يشعر بالآخرين فيعطيهم. ولا يمكن أن يتم هذا، إلا باتصال الإنسان بالله ومحبته وتوبته باتضاع وتجرده من الماديات؛ فيستطيع حينئذ أن يحب الآخرين ويبذل من أجلهم.

ع١٠: أمـــا الـــذين ينشغلون بشهواتهم وأنانيتهم ويفعلون شرورًا كثيرة، فبسلوكهم هذا؛ يضرون أنفسهم ويسعون نحو الهلاك الأبدى؛ بانفصالهم عن الله وبهذا يصبحون أشد الأعداء لأنفسهم.

(٣) عزريا يعلن عن شخصيته وقصد الله فى حياة طوبيا (ع١١-١٥):

١١ أما أنا فأعلن لكما الحق وما أكتم عنكما أمرًا مستورًا. ١٢ إنك حين كنت تصلى بدموع وتدفن الموتى وتترك طعامك وتخبأ الموتى فى بيتك نهارًا وتدفنهم ليلاً كنت أنا أرفع صلاتك إلى الرب. ١٣ وإذ كنت مقبولاً أمام الله كان لابد أن تمتحن بتجربة. ١٤ والآن فإن الرب قد أرسلنى لأشفيك وأخلص سارة كنتك من الشيطان. ١٥ فإنى أنا رافائيل أحد السبعة الواقفين أمام الرب.

ع١١: وأخيرًا بدأ عزريا يكشف سره وقصد الله فى حياة طوبيا، بل وقصد الله فى حياتنا كلنا.

ع١٢: فبين كيف أن الله يهتم بكل عبادة نقدمها لـــه، خاصة الصلوات الحارة الخارجة مـــن القلب، وكذا بأعمال الرحمة التى نعملها، وتفضيل أعمال الله على راحتنا واحتياجاتنا، حتى الضرورية منها، مثل الطعام والشراب، فكل هذه كان يعملها طوبيا، ويرفعها الملاك أمام الله أولاً بأول. وهذا يظهر إهتمام الله بمحبتنا له ويقدر أعمالنا، حتى لو كانت صغيرة فى نظر الناس، مثل تقديم كأس ماء بارد، فكم بالأحرى لو كانت أعمالاً عظيمة.

ع١٣: وبعد أن ظهرت بنوة طوبيا لله ومحبته لـــه، أراد الله أن يزكيه؛ ليصير له مكانة أفضل فى السماء، فسمح له بتجربة العمى والفقر ومن قبلها، مطاردة الملك له، ومحاولة قتله، فثبت طوبيا فى إيمانه ومحبته لله.

كذلك سارة أيضًا ثبتت فى إيمانها بالله، رغم فشل زيجاتها السبعة.

ع١٤: وأخيرًا أعلن الملاك أن الله أرسله؛ ليشفى طوبيا الأب من العمى، وسارة زوجة ابنه (كنته) من هجوم الشيطان على أى رجل يحاول الزواج بها.

✝ *وهكذا يظهر أن الله ضابط الكل، يراقب كل أعمالنا بتدقيق ولا يسمح بالتجربة إلا لخيرنا وهى إلى حين، ثم يرفعها عنا ويباركنا ببركات أوفر.*

ع١٥: وأخيرًا كشف عزريا عن شخصيته الحقيقية وهى أنه رئيس الملائكة رافائيل، أحد رؤساء الملائكة السبعة الواقفين أمام الله.

(٤) خوف طوبيا وابنه وطمأنة الملاك لهما (ع١٦-٢٢):

١٦ فلما سمعا مقالته هذه ارتاعا وسقطا على أوجههما على الأرض مرتعدين. ١٧ فقال لهما الملاك سلام لكم لا تخافوا. ١٨ لأنى لما كنت معكم إنما كنت بمشيئة الله فباركوه وسبحوه. ١٩ وكان يظهر لكم أنى آكل وأشرب معكم وإنما أنا أتخذ طعامًا غير منظور وشرابًا لا يبصره بشر. ٢٠ والآن قد حان أن أرجع إلى من أرسلنى وأنتم فباركوا الله وحدثوا بجميع عجائبه. ٢١ وبعد أن قال هذا ارتفع عن أبصارهم فلم يعودوا يعاينونه بعد ذلك. ٢٢ حينئذ لبثوا ثلاث ساعات منطرحين على وجوههم يباركون الله ثم نهضوا وحدثوا بجميع عجائبه.

ع١٦: وأمـــام هـــذا الإعلان السمائى، سقطا بوجهيهما على الأرض مرتعدين من شدة الخوف، حين شعرا أنهما أمام رئيس الملائكة العظيم رافائيل. وهذا يظهر اتضاعهما ومخافة الله التى فى قلبيهما.

ع١٧، ١٨: فطمأنهما الملاك وأعطاهما السلام وشرح لهما، أن ظهوره ومرافقته لطوبيا الابن وكل ما عمله معهما، هو بتدبير الله ومشيئته.

ع١٩: ثم فسر لهما سلوكه البشرى فى الأكل والشرب وكل الأعمال المادية التى عملها؛ أنها مجرد مظهر خارجى، ولكنه فى حقيقة الأمر، لا يحتاج لهذه الأطعمة ولا لأى شئ مادى، إذ أن طعامـــه الروحى هو محبة الله والصلاة. ولنعلم أن الكائن الأقوى والأسمى (الروحى)

يسهل عليه أن يشابه المخلوق الأقل (المادى) فى الأكل والشرب والمشى والنوم... إلخ وعلى العكس، فلا يستطيع المخلوق المادى، مثل الإنسان أو الحيوان، أن يشابه المخلوقات الروحية، أى الملائكـــة. وإن كـــان الإنسان لكونه مخلوقًا روحيًا ماديًا، لذا يمكنه مشاركة الملائكة فى بعض الأعمال، مثل الصلاة والحب والبذل.

ع٢٠: ثم ودعهما رئيس الملائكة الجليل رافائيل وأكد على أمرين، وهما مباركة الرب وتمجيده، ثم التحدث بأعمال الله مع الآخرين؛ ليؤمنوا ويثبتوا فى إيمانهم.

ع٢١، ٢٢: وبعد صعود الملاك إلى السماء واختفائه عن العيون، ظل كل من طوبيا وابنه ساجدين أمام الله، فى خشوع، يقدمون صلوات الشكر، ويباركون الله لمدة ثلاث ساعات وقد امتـــزجت بـــداخلهم مشاعر الخوف والفرح معًا. ثم قاما فى فرح وبدآ يحدثان كل الأقارب والأحباء عن عظمة الله معهما.

✝ *وهكـــذا نـــرى أن معاينة الأمور السماوية شئ عظيم جدًا، استدعى أن يظل الأب وابنه منطـــرحين أمام الله ثلاث ساعات وعدد ثلاثة يشير لكمال الخشوع، فكم بالأحرى يكون شعورنا، عندما نتقدم إلى الأسرار المقدسة، مثل سر الاعتراف وسر التناول ؟!*

فـــى قصة طوبيا نجد أوضح ظهور لرئيس الملائكة الجليل رافائيل فى الكتاب المقدس ويفسر الآباء ظهورات أخرى فى الكتاب المقدس أنها للملاك رافائيل وهى :-

١- ظهور ملاك للمسيح ليقويه فى بستان جثيمانى (لو٢٢: ٣٩-٤٣)، فالملاك رافائيل هو ملاك المعونة. وهكذا خدم الملاك رافائيل المسيح المرموز إليه، كما خدم طوبيا الذى هو رمز للمسيح.

٢- ظهور ملاك يحرك الماء فى بركة بيت حسدا (يو٥: ١-٤). والملاك رافائيل يسمى أيضًا ملاك الشفاء.

الأَصْحَاحُ الثَّالِثُ عَشَرَ

صلاة طوبيا الأبدية الختامية

⁂

(١) شكر الله ومباركته (ع١-١٠):

١ حينئذ فتح طوبيا الشيخ فاه مباركًا للرب وقال عظيم أنت يا رب إلى الأبد وفى جميع الدهور ملكك. ٢ لأنك تجرح وتشفى وتحدر إلى الجحيم وتصعد منه وليس من يفر من يدك. ٣ إعترفوا للرب يا بنى إسرائيل وسبحوه أمام جميع الأمم. ٤ فإنه فرقكم بين الأمم الذين يجهلونه لكى تخبروا بمعجزاته وتعرفوهم أن لا إله قادرًا على كل شئ سواه. ٥ هو أدبنا لأجل آثامنا وهو يخلصنا لأجل رحمته. ٦ أنظروا الآن ما صنع لنا وإعترفوا له بخوف ورعدة ومجدوا ملك الدهور بأعمالكم. ٧ أما أنا ففى أرض جلائى اعترف له لأنه أظهر جلاله فى أمة خاطئة. ٨ إرجعوا الآن أيها الخطاة واصنعوا أمام الله برًا واثقين بأنه يصنع إليكم رحمة. ٩ أما أنا فنفسى تتهلل به. ١٠ باركوا الرب يا جميع مختاريه أقيموا أيام فرح واعترفوا له.

ثم وقف رجل الصلاة طوبيا الأب؛ ليعلن خلاصة مشاعره، كإنسان روحى وهى تشمل حكم روحية عظيمة.

ع١: فبعد أن مجد الله الممجد إلى الأبد، أعلن أنه من رحمة الله، أنه يسمح بالضيقة، ثم يعود فيرحمنا.

ع٢: وإن سمح بالجرح، يعود فيشفيه، وإن شعر الإنسان بنزوله إلى الحضيض، يعود الله فيـــرفعه ويرحمه ويكرمه. وهذا يعطى رجاءً لكل من فى ضيقة، فعليه أن يوقن أنها ستزول

وأن يد الله الحانية سترحمه، فيشعر الإنسان بأبوة الله، الذى لا يسمح بضيقنا إلى النهاية، بل إلى حين. لذا حين أخطأ داود الملك عندما عدَّ الشعب وتكبر واستحق العقوبة وطلب منه الله أن يختار عقوبة، فقال أقع فى يد الله ولا أقع فى يد الناس، واثقًا فى رحمة الله، الذى يعود ويرفع عنه ضيقته (٢صم٢٤: ١٤).

وبهذه الآية يزيل الله من الأذهان الفكرة الوثنية التى تنادى بإله للخير وإله للشر، فهو الإله الواحد ضابط الكل، الذى يعطى الخيرات ويسمح بالشرور، فكل شئ فى يده وحده وقد أكد هذا المعنى فى مواضع أخرى من الكتاب المقدس مثل (أش٤٠: ٧، ١صم٢: ٦-٨).

ع٣، ٤: ثم يظهر أحد مقاصد الله من ضيقة شعبه وذلك بالسماح لهم بالسبى، وهو أن يبشروا بالله بين الأمم، بحياتهم النقية وسلوكهم الحسن واعترافهم بالله والتحدث عن أعماله، فتؤمن الأمم بالله.

وهذا إعلان واضح أن الله يقدم خلاصه للعالم كله وليس فقط لليهود.

ع٥: ويعلن أيضًا، أن سبب الضيقة هو خطايا الشعب، ولكن الله بمحبته يرحمهم، ويرفع الضيقة عنهم عندما يتوبون.

ع٦: ثم ينادى شعبه، بعدما رأوا عمل الله معه، أن يمجدوا الله، ويعترفوا بقداسته، فى صلوات مستمرة وشكر دائم وبهذا يصبح سلوكهم مستقيمًا ويمجد الله. وهذا معناه، أن الذى يكثر الصلاة من قلبه، تتنقى حياته، ويسلك باستقامة حسب مشيئة الله.

ع٧: ثم يكمل طوبيا صلاته بتسبيح الله وتمجيده، لأنه يرحم شعبه، الذى أخطأ إليه وهذا يظهر مدى رحمته. وأهمية هذا التسبيح، أنه يتم فى السبى، أى أن طوبيا يسبح الله وهو بعد

فـــى الضيقة، مسبيًا لم يعد إلى وطنه. فما أجمل أن يسبح الله فى كل حين، حتى فى أوقات الضيق.

والله أيـــضًا يظهر للأمم عظمة شعبه وكراهيته للخطية، حتى أنه يؤدب شعبه المحبوب المـــؤمن بـــه، فهو بهذا يدعو الأمم للإيمان به والبعد عن الخطية التى تغضبه وإن لم يتوبوا فسيؤدبهم وينتقم منهم.

ع٨: ثم يدعو طوبيا كل الخطاة، أن يرجعوا لله بحياة نقية، واثقين من رحمته عليهم، فهو "يريد أن الجميع يخلصون وإلى معرفة الحق يقبلون" (١تى٢: ٤).

ع٩، ١٠: ثم ينادى كل أولاد الله، أن يشتركوا مع نفسه المتهللة فى تسبيح الله وتمجيده، بل وتخصيص أيام كاملة للتسبيح والفرح.

✝ *سبح الله أولاً، فيمتلئ قلبك فرحًا، وتستطيع حينئذ أن تدعوا الآخرين للتسبيح.*

(٢) نبوته بعودة العظمة لأورشليم (ع١١-٢٣):

١١ يا أورشليم مدينة الله إن الرب أدبك بأعمال يديك. ١٢ أشكرى لله نعمته عليك وباركى إله الدهور حتى يعود فيشيد مسكنه فيك ويرد إليك جميع أهل الجلاء وتبتهجى إلى دهر الدهور. ١٣ تتلألئين بسنى بهيج وجميع شعوب الأرض لك يسجدون. ١٤ يزورك الأمم من الأقاصى بقرابينهم ويسجدون فيك للرب ويعتدون أرضك أرضًا مقدسة. ١٥ لأنهم فيك يدعون الاسم العظيم. ١٦ ملعونين يكونون الذين استهانوا بك والذين جدفوا عليك يدانون ويبارك الذين يبنونك. ١٧ أما أنت فتفرحين ببنيك لأنهم يباركون كافة وإلى الرب يحتشدون. ١٨ طوبى للذين يحبونك ويفرحون لك بالسلام. ١٩ باركى يا نفسى الرب لأن الرب إلهنا خلص أورشليم مدينته من جميع شدائدها. ٢٠ طوبى لى إن بقى من ذريتى من يبصر بهاء أورشليم. ٢١ أبواب أورشليم من ياقوت وزمرد وكل محيط أسوارها من حجر كريم. ٢٢ وجميع أسواقها مفروشة بحجر أبيض نقى وفى شوارعها ينشد هللويا. ٢٣ مبارك الرب الذى عظمها وليكن ملكه فيها إلى دهر الدهور. آمين.

ع١١: يخاطب طوبيا هنا فى صلاته أورشليم المدينة العظيمة، التى فيها هيكل الله. وهى ترمز أيضًا إلى النفس البشرية، وترمز للكنيسة، فيقول لأورشليم، أو لنفسه، إنه من أجل كثرة الخطية أدانها الله وسمح لها بالضيقة والسبى.

ع١٢: لكن برجاء ثابت يقول لها، أشكرى الله وباركيه. وكيف يبارك الإنسان الله وهو فى الضيقة، إلا إذا كان واثقًا من رحمة الله، ورجاؤه فيه ثابت، متيقنًا أنه سيرفع عنه هذه الضيقة؛ لذا يقول لأورشليم، إن الهيكل المنهدم فيها سيبنى ثانية، وسيعود إليها أولادها المسبيين وستفرح إلى الأبد.

✝ *وهذا ما يحدث مع النفس البشرية التائبة، التى تشعر أن الضيقة بسبب خطاياها، وتشكر الله على كل شئ، وتثق أن الله سيعود، فيبنى مسكنه داخلها ويملك عليها ويملأ قلبها ويعيد إليها كل أولادها المسبيين، أى حواسها وأفكارها وكل أعضائها تعود نقية، كأعضاء للمسيح وتعيش حياة الفرح والتسبيح الدائم.*

ع١٣، ١٤: **تتلألئين بسنى بهيج** : تلمعين بنور مفرح.

يعتدون : يعتبرون.

ثم يعد أورشليم بأن تكون مرتفعة فوق جميع الأمم ومتلألئة بعظمة وفرح وبهجة تبهر الأنظار، فتخشع أمامها جميع الشعوب ساجدة فى تقدير واحترام، بل تقدم لها الأمم الهدايا وتشعر أنها أرض مقدسة يسكن فيها الله.

والتاريخ يشهد بذلك فالإسكندر الأكبر – عندما وصل إلى أورشليم – شعر بعظمة الهيكل وسجد أمامه وقدم قرابينه.

وهذا الكلام نبوة عن إيمان الأمم بالمسيحية وسجودهم فى أورشليم الجديدة، أى الكنيسة. التى يدخل إليها المؤمنون من جميع شعوب العالم.

✝ *وهذا ما يحدث مع النفس التى يملك الله عليها، إنه يمجدها بين البشر على الأرض، ثم أيضًا فى السماء ويعطيها مهابة فى أعين الكل، فيبتغون رضاها؛ إذ يشعرون أن الله ساكن فيها.*

ع١٥، ١٦: ولأجل تمجيد اسم الله العظيم فيك يا أورشليم، فإن من يستهين ويزدرى بك؛ تحل عليه لعنة الله، أما الذى يكرمك ويبنيك فيباركه الله.

✝ *وهكذا إذ يسكن الله فى الإنسان ويتمجد فى أعماله، فكل الأشرار الذين يضطهدونه يلعنون من الله، أى يحل بهم عقاب الله ولو بعد حين، ثم يكمل عقابهم فى العذاب الأبدى. أما الذى يكرم الإنسان الروحى ويعمل لبنيانه؛ فيباركه الله.*

ع١٧: ثم يكمل صلاته مناديًا أورشليم أن تفرح ببنيها المجتمعين فيها حول الرب والرب يباركها.

ع١٨: ثم يطوب الذين يحبون أورشليم ويطلبون لها الخير والسلام.

ع١٩: وينادى نفسه وسط محبى أورشليم، لكى يبارك الرب من أجل رحمته وإنقاذ أورشليم من الهلاك.

✝ *هكذا النفس البشرية، تفرح باجتماع كل أعضائها وحواسها حول الرب، وتتهلل بعبادته وتسبيحه والعمل لمرضاته. وكذلك يبارك الرب متقيه وكل محبيهم وكل أحباء الرب يشكرونه على محبته ورحمته لأولاده. وأيضًا الكنيسة تفرح باجتماع بنيها فيها، مسبحين الله. وكل من يحب الكنيسة ويطلب سلامها؛ يباركه الرب، وكل محبى الكنيسة يمجدون الله على أعماله ورحمته لكنيسته.*

ع٢٠: وأخيرًا، يختم صلاته بنبوات عن مجد أورشليم الآتى، ويطوب نفسه إن بقى أحد من ذريته؛ ليرى هذا المجد. وهو هنا يتنبأ عن مجد أورشليم برجوعها من السبى. وأيضًا بتجسد المسيح وافتدائه لكنيسته وفى النهاية يتنبأ عن أورشليم السمائية، لذا نجد تشابهًا واضحًا بين نبواته وكلمات رؤيا يوحنا اللاهوتى فى العهد الجديد.

ع٢١: يتنبأ عن أبواب أورشليم، أى مداخلها. إنها من ياقوت ولونه أزرق لون السماء، أى أن الداخلين إليها، يكون لهم فكر وحياة السماء الروحية النقية. وهو أيضًا حجر صلب

يرمز للصلابة الروحية والقوة والصبر وهو يتنقى بالنار؛ لأن أولاد الملكوت يحملون الصليب ويحتملون آلامًا كثيرة، فيكللون فى السماء.

والأبواب أيضًا من زمرد. ولونه أخضر، وهو يرمز للنضرة والحيوية، أى أن الداخلين إليها بجهادهم الروحى وعمل الروح القدس فيهم ينمون فى معرفة الله ويحيون معه إلى الأبد.

وبعد ذلك يتحدث عن أسوار المدينة. والأسوار هى ما يحيط بالمدينة ويحصنها ويمنع عنها كل أذى، فهى مصنوعة من الأحجار الكريمة، أى أغلى شئ، فليس أغلى من اسم الرب ودم المسيح الفادى، الذى ينقذنا من الموت وبه نحتمى من كل حروب إبليس، كما يقول الكتاب المقدس "إسم الرب برج حصين يركض إليه الصديق ويتمنع" (أم ١٨: ١٠).

ع٢٢: ويواصل نبواته عن أورشليم، أو عن النفس البشرية، التى تحيا مع الله، أو عن الكنيسة، فيصف أسواقها، أنها مفروشة بحجر أبيض نقى. والأسواق هى مكان اجتماع الناس، فهو يعلن أن اجتماع بنيها يتسم بالنقاء ومعاملاتهم تتميز بالاستقامة والبهاء (بيضاء). والحجر يشير إلى القوة والصلابة، أى أن بنيها يتمتعون بصلابة روحية وحياة قوية مع الله، فلا يهتزون من تقلبات الحياة، بل يحيون فى إيمان ثابت.

وفى شوارع المدينة – أى الطرق التى توصل بين أنحائها المختلفة – ينشدون هلليويا، وهى ترمز إلى أن تسبيح اسم الرب هو الذى يربط بين أبناء هذه المدينة بعضهم البعض.

ع٢٣: وفى النهاية يبارك الله، الذى مجد أورشليم، أو كنيسته، أو النفوس المحبة له، بل وعظمها فوق العالم أجمع وذلك بملكه عليها إلى الأبد؛ فيمتعها بعشرته ومحبته.

الأَصْحَاحُ الرَّابِعُ عَشَرَ

نهاية حياة طوبيا ووصيته الأخيرة

⁂

(١) موت طوبيا فى شيخوخة صالحة (ع١-٤):

١ وفرغ طوبيا من كلامه وعاش طوبيا بعدما عاد بصيرًا إثنين وأربعين سنة ورأى بنى حفدته. ٢ فتمت سنوه مئة واثنتين ودفن بكرامة فى نينوى. ٣ وكان حين ذهب بصره ابن ست وخمسين سنة وعاد يبصر وهو ابن ستين سنة. ٤ وقضى بقية حياته مسرورًا وإذ بلغ من تقوى الله غاية حسنة انتقل بسلام.

ع١-٤: فى الإصحاح الأخير يلخص لنا السفر حياة القديس طوبيا الأب، الذى عاش ست وخمسين سنة فى حياة تقية مع الله وأعمال الخير، ثم أصيب بالعمى واستمر أربع سنوات فى هذه الضيقة الشديدة وفى نهايتها، سافر ابنه مع الملاك رافائيل، ثم عاد متزوجًا سارة وفتح عينى أبيه، فكان عمره حين أبصر ستين عامًا، ثم عاش بفرح مع الله ومع زوجته وابنه وكل أحبائه، بل ومع بنى حفدته، فى تقوى الله، حتى مات فى شيبة صالحة، بعد إثنين وأربعين سنة من عودة بصره، أى كان عمره حينذاك مائة وإثنين عامًا وكان ذلك حوالى عام ٦٣١ ق.م. ودفن فى مدينة نينوى، مكرمًا من أبنائه وكل أحبائه بكرامة عظيمة.

(٢) نبوة طوبيا بعودة السبى ووصيته الأخيرة (ع٥-١٣):

٥ ولما حضرته الوفاة دعا ابنه طوبيا وبنى ابنه السبعة الفتيان وقال لهم. ٦ قد دنا دمار نينوى لأن كلام الرب لا يذهب باطلاً وإخوتنا الذين تفرقوا من أرض إسرائيل يرجعون إليها. ٧ وكل

أرضها المقفرة ستمتلئ وبيت الله الذى أحرق فيها سيستأنف بناؤه وسيرجع إلى هناك جميع خائفى الله. ٨ وستترك الأمم أصنامها وترحل إلى أورشليم فتقيم بها. ٩ وتفرح فيها ملوك الأرض كافة ساجدة للملك إسرائيل. ١٠ إسمعوا يا بنى لأبيكم اعبدوا الرب بحق وابتغوا عمل مرضاته. ١١ وأوصوا بنيكم بعمل العدل والصدقات وأن يذكروا الله ويباركوه كل حين بالحق وبكل طاقتهم. ١٢ إسمعوا لى يا بنى لا تقيموا ههنا بل أى يوم دفنتم والدتكم معى فى قبر واحد ففى ذلك اليوم وجهوا خطواتكم للخروج من هذا الموضع. ١٣ فإنى أرى أن إثمه سيهلكه.

ع٥: وقبل موت طوبيا الأب، استدعى ابنه طوبيا، الذى كان قد أنجب سبعة بنين وأعطاهم كلهم وصيته الأخيرة وهى مملوءة بنبوات مفرحة لشعب الله.

وإنجاب سارة – التى ترمز للكنيسة، بزواجها من طوبيا الابن الذى يرمز للمسيح – سبعة بنين فيرمزون إلى أسرار الكنيسة السبعة، التى وهبها المسيح لكنيسته.

ع٦: ثم أكد كلام الأنبياء، مثل ناحوم (نا٣: ١)، بأن نينوى ستدمر تمامًا، وكان هذا شيئًا غريبًا جدًا؛ لأنها كانت المدينة العظمى فى العالم، إذ هى عاصمة الإمبراطورية الأشورية التى تحكم العالم.

✝ *وهذا يبين بطلان القوى المادية الفانية؛ فلا يجب أن يعتمد عليها أولاد الله. وكذلك لا يغتر أحد بقوته وسلطانه، بل لينظر إلى الله، القوة الوحيدة الثابتة فى هذه الحياة وإلى الأبد، فلا يضطرب من الضيقات، أو من تهديدات الآخرين وسطوتهم، بل ويلتجئ إلى الله فى كل شئ، حتى قبل تفكيره فى قوته أو قوة المحيطين به. وهكذا يطمئن قلبه، بين يدى الله، تحت كل الظروف.*

ع٧: وكذلك بشر برجوع شعب الله من السبى إلى أورشليم. إذ بعد السبى الأشورى، الذى كان يعيش فيه طوبيا، سيأتى السبى البابلى وبعده تقوم مملكة مادى وفارس، التى فى

بدايتها سيعود اليهود إلى أورشليم وبشر أيضًا بامتلاء المدينة وكل اليهودية بخائفى الله المحبين لعبادته، إذ سيبنى ثانية بيت الله المنهدم ويقدمون فيه ذبائحهم وعبادتهم لله الواحد.

ع٨، ٩: بل وتنبأ أيضًا عن إيمان الأمم ورؤسائها، الذين سيعظمون أورشليم ويسجدون لله فيها ويعبدونه وينضمون إلى شعبه، تاركين عبادة الأوثان.

لم تكن هذه نبوة عن أورشليم والرجوع من السبى فقط، بل وأيضًا عن رجوع العالم إلى الإيمان وانتشار المسيحية فى كل مكان، قبل مجئ المسيح الثانى.

فرجوع الأمم لله سيتم بإيمانهم بالمسيح، حيث آمن الكثيرون من أمم العالم المختلفة.

ع١٠: ثم يكمل طوبيا الأب وصيته الأخيرة، بدعوة بنيه للعبادة الحقيقية لله من القلب والاهتمام بإرضائه فى كل حياتهم.

ع١١: كما أوصاهم، أن يعلموا أولادهم السلوك بإستقامة، ومراعاة العدل فى كل معاملاتهم؛ حتى لا يظلموا أحدًا. ثم أكد على أهمية الصدقة والرحمة. وفى النهاية، الإهتمام بذكر اسم الرب كل حين وتسبيحه وتمجيده؛ للبقاء فى معيته وعشرته الدائمة.

ع١٢، ١٣: ثم ختم وصيته بأمر محدد وهو ترك مدينة نينوى، فور موت ودفن زوجته حنة معه فى قبر واحد؛ لينجوا من الهلاك فى نينوى المدينة العظيمة، التى ستدمر نتيجة شرورها الكثيرة.

ونينوى ترمز للعالم الذى سيهلك بإثمه ولذا وجب على أولاد الله أن يخرجوا منه، أى يتغربوا عن شهواته وخطاياه ويحيوا للمسيح.

(٣) ذهاب طوبيا إلى حمويه (ع١٤-١٧):

١٤ فكان أن طوبيا بعد موت أمه ارتحل عن نينوى بزوجته وبنيه وبنى بنيه ورجع إلى حمويه.
١٥ فوجدهما سالمين بشيخوخة صالحة فاهتم بهما وهو أغمض أعينهما وأحرز كل ميراث بيت رعوئيل ورأى بنى بنيه إلى الجيل الخامس. ١٦ وبعد أن استوفى تسعًا وتسعين سنة فى مخافة الرب دفن بفرح.
١٧ ولبث كل ذوى قرابته وجميع أعقابه فى عيشة صالحة وسيرة مقدسة وكانوا مرضيين لدى الله والناس وجميع سكان الأرض.

ع١٤: **أغمض أعينهما** : ما يفعله المقربون للموتى بعد وفاتهم مباشرة، أى حضر وفاتهما ودفنهما.

أحرز : نال وكسب.

إهتم طوبيا الابن بتنفيذ وصية أبيه؛ فبعد دفن أبيه بسنوات قليلة، ماتت أمه، فدفنها بإكرام مع والده، ثم ارتحل هو وكل بنيه وحفدته وأخذ كل أمواله، مسافرًا إلى حمويه رعوئيل وحنة، اللذين فرحا جدًا بلقياه هو وابنتهما، وكل بنيهما الذين تمنيا أن يريانهم، وكان رعوئيل وحنة قد أصبحا شيخين.

وهكذا يظهر إيمان طوبيا الابن وطاعته لوالده، إذ تخلى عن المدينة العظيمة نينوى، بكل مجدها، واثقًا من صدق كلام والده، أنها ستخرب.

✝ *ليتنا نطيع وصايا الله، مهما تعارضت مع حكمتنا البشرية وأفكار العالم.*

ع١٥: وبعد أن أنعم الله ببركات كثيرة على طوبيا الأب والابن، أنعم أيضًا على البارين رعوئيل وحنة؛ إذ عاشا سنوات مع بنى ابنتهما سارة، وأكملا حياتهما فى التقوى والصلاة، فرحين بالرب، حتى ماتا بشيخوخة صالحة ودفنهما طوبيا بإكرام عظيم.

✝ *ونرى هنا الفرح الذى يميز أولاد الله عن أهل العالم، هذا الفرح الذى يستمر طوال حياتهم، حتى وسط الضيقات وفى سن الشيخوخة، حين يضعف الإنسان وتزداد حروب الخوف والقلق والتذمر. ولكن نعمة الله تحفظ لهم فرحهم، حتى نهاية حياتهم على الأرض؛ ليكملوه بعد ذلك فى السماء فى الفرح الأبدى.*

ع١٦: وعاش طوبيا الابن أيامًا كثيرة فى صلاح وبر. ورأى حفدته حتى الجيل الخامس حتى مات وعمره تسعة وتسعون عامًا.

ع١٧: واستمر أبناؤه وأقرباؤه وأحباؤه فى عيشة صالحة، كنموذج حسن وسط العالم، يعلن اسم الله.

✝ *فمن بركات الله على الإنسان، أن يحيا أيامًا كثيرة فى تقوى الله على الأرض وليس هو فقط، بل وأيضًا أن تكون له ذرية صالحة تشهد لله.*

وهكذا يختم هذا السفر العظيم ببركات وفيرة وفرح دائم لأولاد الله الصالحين، الذين احتملوا ضيقات كثيرة وتمسكوا بإيمانهم.

دراسة مقارنة للصلوات المذكورة فى سفر طوبيا

أ – صلاة طوبيا عندما كان فى الضيقة (ص٣: ١-٦).

تشمل عدة معانى أهمها :

١- الخضوع لتدابير الله.

٢- اعتراف بالخطايا وتوبة.

٣- طلب رحمة الله.

٤- استحقاق للعقوبة.

٥- اتكال على الله.

٦- تألم يقارب الموت.

ب – صلاة سارة عندما كانت فى ضيقة (ص٣، ١٣: ٢٢).

تشمل عدة معانى أهمها :

١- انتظار رحمة الله.

٢- غفران الله فى الضيقة.

٣- التعلق بالله.

٤- طلب رفع الضيقة.

٥- تألم حتى الموت.

٦- حيرة من سبب الضيقة لأنها :

أ – سلكت ب.

ب – طلبت الزواج بطهارة الله.

٧- قبول مشيئة الله.

٨- سمو حكمة الله.

٩- بركات الضيقة وأكاليلها.

١٠- الله ينقذ أولاده من الضيقات.

١١- الإيمان بقوة الله المخلصة.

١٢- تمجيد الله.

حـــ- صلاة طوبيا بعد شفائه (ص١٣).

تشمل عدة معانى أهمها :-

١- تمجيد الله بالكلام وبالأعمال.

٢- السماح بالضيقة وإعطاء بركات منها.

٣- مسئولية أولاد الله أن يظهروه للعالم.

٤- الضيقة تأديب من أجل خطايانا.

٥- الخلاص من الضيقات برحمة الله.

٦- دعوة للتوبة وتمجيد الله.

٧- نبوة عن الرجوع من السبى ومجد أورشليم، سواء بالمسيح المخلص، أو فى ملكوت السموات.

د – مقارنة بين صلاتى طوبيا وسارة عندما كانا فى الضيقة :

يوجد تشابه كبير بين الصلاتين فيما يلى :

١- طلب رحمة الله.

٢- تسليم لمشيئة الله.

٣- اعتراف بالخطايا وتوبة.

٤- تألم حتى الموت.

٥- تمجيد الله ومباركة أحكامه.

هـــ- مقارنة بين صلاتى طوبيا عندما كان فى الضيقة وبعد شفائه منها :-

يوجد تشابه بين الصلاتين فيما يلى :-

١- تمجيد الله.

٢- الخطية هى سبب الضيقة.

٣- دعوة للتوبة.

ولكن يوجد فارق واضح بينها وهو أن الصلاة الأولى تتميز بالمعاناة من الألم وانتظار الموت، أما الصلاة الثانية فتتميز بالشكر والحمد والإيمان بالخلاص ودعوة أولاد الله لتمجيده والتمتع ببهاء أورشليم.

الزواج فى سفر طوبيا

١- إجراءات الزواج التى تتمثل فى كتابة رعوئيل والد الزوجة عقد الزواج وإمساكه بيد ابنته وتسليمها لعريسها، فهو يمثل هنا كاهن الأسرة (ص٧: ١٥).

٢- تعفف طوبيا وسارة ثلاثة أيام وصلواتهما (ص٨: ٤).

٣- عمل وليمة العرس بمخافة الله (ص٩: ١٢).

٤- وصايا والدى سارة إليها بمشتملاتها الخمسة (ص١٠: ١٣).

موجز لاهم شخصيات

الملاك رافائيل

١ –هو أحد رؤساء الملائكة السبعة الواقفين أمام الله كل حين (طو١٢: ١٥).

٢ –ظهر كمرشد لطرق المدن باسم عزريا، بشكل شاب بهى المنظر (طو٥: ٥، ٦، ١٨).

٣ –بعد أن أظهر استعداده لإرشاد طوبيا الابن إلى راجيس (طو٥: ١٤، ٢٠) قابل طوبيا الأب ليطمئنه أنه سيوصل ابنه.

٤ –عندما هجم الحوت على طوبيا الابن نجاه منه وأوصاه بأخذ قلبه وكبده ومرارته وتمليح باقى لحمه (طو٦: ٣، ٥).

٥ –وأرشد طوبيا الابن للزواج من سارة (طو٦: ١٢). وطمأن رعوئيل أبوها ونصح طوبيا بحرق الكبد والقلب عند دخوله إلى مخدع الزواج والتعفف عن سارة ثلاثة أيام (طو٦: ١٨–٢٢).

٦ –أثناء الاحتفال بالزواج ذهب إلى غابيلوس فى راجيس واسترد القرض منه وأخذه معه؛ ليقابل طوبيا الابن ويهنئه بالزواج (طو٩).

٧ –اصطحب طوبيا الابن فى طريق العودة إلى أبيه وأمه، ثم قسم الموكب إلى قسمين، فسبق هو وطوبيا للقاء والديه ليطمئنهما (طو١١).

٨ –عندما حاول طوبيا وإبنه تقديم المال له شكرهما وأعلن لهما شخصيته وأنه رئيس الملائكة رافائيل وأنه كان يرفع صلوات طوبيا الأب وسارة، فسجد الأب وابنه أمامه وصعد إلى السموات (طو١٢).

طوبيا الأب

١ –طوبيا هو شاب من سبط نفتالى، يسكن الجليل الأعلى وقد تم سبيه إلى مدينة نينوى (طو١: ١، ٣).

٢ –كان متزوجًا من امرأة من سبطه اسمها حنة وله منها ولد واحد أسماه باسمه (طو١: ٩).

٣ –كان رجلاً بارًا، فقد كان وهو شاب مواظبًا على الذهاب لهيكل الرب فى أورشليم؛ للسجود وتقديم البكور والعشور ولم يكن يذهب لعجول الذهب التى صنعها يربعام (طو١: ٥–٧).

٤ -بعد سبيه إلى نينوى لم يكن يأكل من طعام الوثنيين كما فعل باقى اليهود (طو١: ١٢).
٥ -أعطاه الله نعمة فى عينى الملك شلمناصر، فوجد حظوة لديه، حيث كان يعمل متعهدًا للتوريدات فى قصر الملك (طو١: ١٣). وكان يستغل طبيعة عمله من تجوال فى مختلف أنحاء البلاد، فكان يتفقد اخوته فى السبى ويذكرهم بوصايا الله (طو١: ١٤)، كما كان يساعد المحتاج منهم، مثلما أقرض غابيلوس، الذى فى مدينة راجيس، عشرة قناطير من الفضة وأخذ عليه صك بذلك (ص١: ١٦، ١٧).
٦ -كان يهتم بدفن الموتى من اليهود، الذين كان يقتلهم الملك، الذى كان يضطهد اليهود بغيرة شديدة (طو١: ٢٠)، (طو٢ : ٣، ٤)، غير مبالٍ بلوم أقربائه (طو٢: ٨).
٧ -عندما علم سنحاريب الملك أمر ما يفعله طوبيا من دفن الموتى، أراد قتله، فهرب طوبيا هو وزوجته وابنه تاركًا كل ماله. ولكن الله نجاه، إذ بعد خمسة وأربعين يومًا قتل الملك ابناه وعاد طوبيا إلى منزله واسترد ماله (طو١: ٢٣-٢٥).
٨ -فى إحدى المرات، بعد دفنه أحد الموتى؛ عاد إلى بيته مرهقًا ثم نام بجوار بيته، فسقط فى عينيه فضلات طائر أفقدته النظر (طو٢: ١١) وكان ابن ستة وخمسين عامًا (طو١٤: ٣)، ولم يتذمر رغم تعييرات زوجته وذوييه (طو٢: ١٥-١٧).
٩ -إضطرت زوجته أن تعمل بالحياكة؛ لتعول الأسرة وذلك بعد أن ضاق بهم العيش. ولكنه مع هذا عند سماعه لصوت جدى فى المنزل، خاف أن يكون مسروقًا، فأنذر زوجته، التى ظلت تعيره على حرصه على شريعة الله وصدقاته ورجائه بالله (طو٢: ١٩-٢٢).
١٠ -عندما اشتدت الحاجة بطوبيا، استدعى ابنه وأعلمه بأمر القرض، الذى لدى غابيلوس وطلب منه أن يسترده (طو٤: ٢٢). وأخبره أن لديه صك بالمال وطلب منه أن يصطحب مرشدًا يدله على الطريق ويعطيه أجرته (طو٥: ٣، ٤)، فوجد الابن شابًا يسمى عزريا، أدخله إلى أبيه، فباركه وانطلق مع ابنه للسفر واسترداد القرض (طو٢٥).
١١ -كان رجل صلاة، يلجأ إلى الله فى كل أمر (طو٣: ١-٦، ١٣).
١٢ -كان أب أسرة ناجحاً وقد علم ابنه وصايا الله، عندما ظن أنه اقترب من الموت (ص٤).
١٣ -لم ينقطع رجاؤه فى الله وكان موقنًا بحمايته لابنه طوبيا، حتى عندما تأخر عن موعد عودته، فكان يواسى زوجته، مؤكدًا لها أنه سيعود (طو١٠: ٦).

١٤ –عاد ابنه بعد زواجه واسترداد القرض وطلى عينى أبيه بمرارة الحوت، فعاد إليه نظره وكان عمره وقتذاك ستين عامًا (طو١١: ١٣–١٥).

١٥ –حاول طوبيا أن يكافئ عزريا (الملاك رافائيل)، بإعطائه نصف ما جاء به ابنه (طو١٢: ٥)، حينئذ أعلمه عزريا بحقيقة أمره وأنه ملاك الرب، فسجد هو وابنه على الأرض وباركا الله (طو١٢: ١١–٢٢).

١٦ –عاش بعد أن أصبح بصيرًا اثنتين وأربعين سنة ورأى بنى حفدته ومات وهو يبلغ من العمر مائة واثنين سنة ودفن بكرامة فى نينوى (طو١٤: ١، ٢)، بعد أن أوصى ابنه بدفن أمه، ثم ترك نينوى؛ لأنها ستخرب (طو١٤: ١٢). ثم تنبأ نبوات عن الرجوع من السبى ودمار نينوى وعن أورشليم السمائية (طو١٣).

طوبيا الابن

١ – هو الابن الوحيد لطوبيا وحنة وهما من سبط نفتالى وقد ولد فى الجليل وتسمى على اسم أبيه (طو١: ١، ٩).

٢ – كان يساعد أبيه فى عمل الخير ودفن الموتى، فكان يخبر أباه إذا رأى واحدًا من الموتى من بنى إسرائيل وكان يدعو الأتقياء لولائم أبيه (طو٢: ٢، ٣).

٣ – كان يتسم بالطاعة المطلقة، حتى أنه قبل أن يذهب ويسترد الدين وهو لا يعلم كيف يفعل هذا، بل أجاب والده "كل ما أمرتنى به أفعله" (طو٥: ١)، لذا استحق أن يرافقه ملاك.

٤ – عندما خرج ليبحث عن مرشد قابله ملاك الله رافائيل فى شخص عزريا وأعلمه أنه كان نازلاً عند غابيلوس فى مدينة راجيس (طو٥: ٨) ودخل مع الابن طوبيا إلى الأب وطمأنه أنه سيصحب الابن إلى غابيلوس ويعود بالفتى سالمًا (طو٥: ١٥، ٢٠).

٥ – أخذ طوبيا استعدادات السفر وودع والديه، سافر طوبيا مع كلبه برفقة عزريا ووصلا عند نهر دجلة وباتا هناك.

٦ – عندما دخل طوبيا الابن ليغتسل فى النهر، هاجمته سمكة كبيرة (حوت)، فاستنجد بعزريا، الذى أمره بسحب السمكة من خيشومها إلى البر، فاستسلمت له وأخذ منها قلبها وكبدها ومرارتها، كما أمره الملاك؛ لمنافع ستظهر فيما بعد (طو١٦: ١–٥).

٧ – أرشده عزريا (الملاك) أن يذهب إلى رعوئيل قريبه وأن يتزوج ابنته سارة وطمأنه بأنه لن يصيبه ما اصاب أزواجها السابقين الذين ماتوا (طو٦: ١١–١٧).

٨ – تزوج بسارة وعندما دخلا المخدع أحرقا كبد السمكة، فطرد الملاك رافائيل الشيطان أزمورداوس بعيدًا عنه.

٩ – وظلا طوبيا وسارة يصليان ثلاث ليالى، ثم بعد انقضاء الليلة الثالثة اقترن بها (طو٨: ١–٤).

١٠ –طلب طوبيا من الملاك أن يذهب إلى غابيلوس ويستوفى الدين ويدعوه لعرسه، حتى لا يبطئ فى الرجوع لأبيه؛ لأنه كان لابد له أن يظل أسبوعين فى احتفالات العرس، كما طلب منه حموه رعوئيل (طو٨: ٢٣، طو٩: ١–٥).

١١ –كان طوبيا محبًا لأبويه، فلم يستطع أن يلبى طلب رعوئيل بأن يظل عنده أكثر من الأسبوعين وكان يعرف مدى قلقهما، فأخذ زوجته ونصف أموال رعوئيل التى منحه إياها من غلمان ومواشى وجوارى وسافر راجعًا إلى والديه (طو١٠: ٨–١٠).

١٢ –عند بلوغه حاران، التى فى وسط الطريق إلى نينوى، فارق زوجته والقافلة؛ ليسرع للقاء والديه (طو١١: ١–٣).

١٣ –عندما قابل والده أخرج مرارة الحوت وطلى بها عينيه، كما أوصاه الملاك، فعاد الأب بصيرًا (طو١١: ١٣).

١٤ –طلب من أبيه أن يكافئ عزريا (الملاك) على كل ما فعل، ثم أعلن لهما الملاك شخصيته، فسجدا أمامه (طو١٢: ١٥–٢٢).

١٥ –رزقه الله بسبعة بنين. وقد دفن أباه كما أوصاه فى نينوى. وبعد موت أمه ودفنها بجوار أبيه، أخذ زوجته وأبناءه وترك نينوى، حسب وصية أبيه، وذهب لحمويه.

١٦ –وقد باركه الله وعاين بنى بنيه إلى الجيل الخامس ودفن حمويه وأخذ كل أملاكهما، ثم مات فى مخافة الرب، بعد أن أكمل تسع وتسعين سنة (طو١٤: ٥، ١٤–١٦).

ســـارة

١ – هى سارة بنت رعوئيل وحنة وكانوا يسكنون مدينة راجيس فى مادى (طو٣: ٧).

٢ – كانت قد تزوجت بسبعة رجال، الواحد تلو الآخر. وكان شيطان اسمه أزمودوس يقتل أزواجها عند دخولهم إليها (طو٣: ٨).

٣ – وكانت تعانى من تعييرات جاريتها وكانت تقدم صلوات حارة وأصوام كثيرة لله (طو٣: ٩–٢٥).

٤ – تقدم طوبيا الابن للزواج بها، حسب مشورة عزريا (الملاك). وقد وافق رعوئيل بالرغم من خوفه من أن يصيب طوبيا ما أصاب أزواجها السابقين (طو٧: ١٠–١٣).

٥ – ظلت هى وطوبيا ثلاث ليالى فى صلاة، حتى يباركهما الله، ثم بعد ذلك اقترنا بزواج مقدس وذلك بعد أن أحرق طوبيا كبد الحوت، فقبض الملاك على الشيطان، الذى كان يتسبب فى موت أزواجها السابقين (طو٨: ٢–٧).

٦ – تركت بيت أبيها مع زوجها طوبيا، بعد وليمة الفرح، التى استمرت أسبوعين (طو٨: ٢٣). وقد أعطاها والدها نصف أمواله من غلمان ومواشى وقد أوصاها أبواها بإكرام حمويها وحب زوجها والعناية بأسرتها (طو١٠: ١٠–١٣).

٧ – وصلت إلى حمويها بعد أسبوع من وصول زوجها، فاستقبلاها بفرح وعملا لها وليمة لمدة سبعة أيام.

٨ – أنجبت سبعة بنين وبعد مشاركة زوجها فى دفن حمويها تركت نينوى.

٩ – ذهبت مع زوجها إلى والديها وعاشت معهما حتى موتهما ورأت أحفادها.

رموز المسيح والكنيسة

طوبيا يرمز للمسيح

طوبيا الابن يرمز للمسيح فيما يلى :

١ -كان لطوبيا اسم أبيه، كما أن المسيح له اسم أبيه، فيدعى عمانوئيل، أى الله معنا.

٢ -كان يعمل نفس أعمال أبيه وهى أعمال الرحمة ودفن الموتى والمسيح كان يجول فى كل مكان يصنع خيرًا، مثل أبيه صانع الخيرات.

٣ -سافر والملاك يخدمه ويوصله إلى عروسه سارة والمسيح تجسد والملائكة تخدمه، ليفتدى عروسه الكنيسة.

٤ -هجم عليه الشيطان فى شكل الحوت وفى شكل الشيطان أزمواوس، عند زواجه وانتصر طوبيا عليه. والمسيح انتصر على الشيطان، فى التجربة على الجبل وعلى الصليب، عندما قيده.

٥ -تزوج بسارة، التى كانت معذبة ولم تجد راحة مع السبعة أزواج الذين قتلوا. والمسيح تزوج بالكنيسة، التى لم تجد خلاصها بكل الطرق فى العهد القديم ولكنها نالت الخلاص بالمسيح فى العهد الجديد.

٦ -رعوئيل حفر قبرًا لطوبيا؛ لأنه اعتقد أنه فى عداد الموتى، ولكن الجارية وجدته حيًا مع عروسه وبشرت رعوئيل وزوجته بأنهما أحياء. والمسيح دخل إلى القبر ولكنه قام وبشرت المجدلية بقيامته.

٧ -طوبيا ارتبط بسارة وظل معها ثلاثة أيام فى صلاة وتعفف، ثم اقترن بها، لينجب بنيناً فى اليوم الثالث. والمسيح ارتبط بكنيسته وحمل خطاياها على الصليب وفى اليوم الثالث قام من الأموات؛ ليعطيها حياة جديدة وينجب منها بنيناً كثيرين بالإيمان، هم أبناء العهد الجديد.

٨ -طوبيا استرد الدين من غابيلوس ودفع له الصك. والمسيح دفع الدين الذى علينا بدمه الذى على الصليب وقدم لنا الخلاص.

٩ –حاول حموى طوبيا استبقائه معهما مدة أطول مع عروسه فى بيتهما ولكنه أصر على الرجوع إلى أبيه. والمسيح صعد لأبيه رغم تعلق تلاميذه به.

١٠ –طوبيا وصل مع الملاك إلى أبيه وبشره بزواجه وبعد سبعة أيام وصلت سارة. والمسيح صعد إلى السموات مع الملائكة، ليعد مكانًا لكنيسته، أى أولاده المؤمنين، الذين استقبلهم بعده فى الفردوس.

١١ –طوبيا شفى عينى أبيه بوضع يده بالمرارة عليها. والمسيح شفى المرضى بلمسهم، مثل وضع الطين على عينى المولود أعمى فأبصر.